

الكلمات الطيبات

في

المأثور عنه الامراء والمصراع من الروايات

وفيما وقع ليلتذ من الآيات الباهرات

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر

﴿الشيخ محمد نجيب المطيعي﴾

مفتي الديار المصرية سابقا

القاهرة

١٣٤٧ هـ

المطبعة السلفية - بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختار نبيه محمداً واصطفاه وأرسله لكافة الناس بشيراً ونذيراً
وامسرى به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السموات
العلی فكان فيها كما هو في الارض سراجاً منيراً ، والصلاة والسلام على هذا النبي
المعظم والسند القوي الاعظم ، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه

(أما بعد) فاني قد اعتدت أن أقرأ كل عام قصة الاسراء والمعراج للنبي
السراج الوهاج ، فأردت أن أكتب ما رواه الحفاظ في صحاحهم مقتصراً على
ذلك وعلى ما جاء في كتاب الله تعالى شارحاً ما جاء في كتاب الله وفي تلك
الروايات معرضاً عما عداها مما رواه غيرهم . فقلت والله التوفيق : ان الكلام
في مقامين : الاول في الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . الثاني
العروج به ﷺ من المسجد الأقصى الى مستوى سمع فيه صريف الأقدام ، وناجاه
ربه العليم العلام . أما الاول فقد جاء فيه قوله تعالى (سبحان الذي أسمى بعده
ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا
انه السميع البصير) فقوله تعالى « سبحان » معناه على ما ذهب اليه بعض المحققين
مصدر سبح يسبح تسبيحاً بمعنى نزه تنزيهاً لا بمعنى قال سبحان الله وان جاء التسبيح
بمعنى ذلك القول . والاسراء السير بالليل خاصة والهمزة لتعديته والمفعول محذوف
على معنى أسمى ملائكته بعده وانما احتيج الى هذا لانه اذا كان أسمى بمعنى
أسمى لزم من كون الباء لتعديته مشاركة الفاعل للمفعول . وهذا شيء ذهب اليه
المبرد ، فاذا قلت بزيد يلزم منه قيامك وقيام زيد عنده ، واذا جعلت الباء
كالهمزة لا يلزم ذلك كما لا يخفى كذا في البحر . ولا يخفى أنه لا مانع من جعله بمعنى
أسمى والباء لتعديته ، وحديث مشاركة الفاعل للمفعول هنا لا يضر لان المشاركة

مضوية بمعنى المصاحبة المضوية أي انه تعالى صاحبه معه في الاسراء (وهو معكم ايها كنتم) غاية الامر أن المشاركة هنا بمعنى يليق به تعالى . ومصاحبة الله تعالى إما بأعائه بدون واسطة أو بواسطة ملائكته فالمضيان متحدان سواء جعلنا الباء للتعدي وأسرى بمعنى سرى ، أو جعلنا الهززة للتعدي والمفعول محذوف . وإيثار لفظة العبد للايدان بتمحضه ﷺ في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك أقصى الغايات ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه . والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الاوصاف وأعلى المراتب وبها يفخر المحبوب . وعن أبي القاسم سليمان الانصاري انه قال : لما وصل النبي ﷺ الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله اليه يا محمد بم نشر فك ؟ قال : بنسبتي اليك بالعبودية . فأنزل الله تعالى (سبحانه الذي أسرى بعبد) وجاء : قولوا عبد الله ورسوله . وقوله تعالى (ليل) ظرف لاسرى وقائدة ذكره مع أن الاسراء لا يكون الا ليل الدلالة بتكثيره على تقليل مدة الاسراء وانها بعض من اجزاء الليل . وتحقق ذلك على ما صرح به الفاضل البجلي نقلاً عن سيدينا وابن مالك ان الليل والنهار اذا عرفا كانا معياراً للتعظيم وظرفاً لمحدودا ، فلا تقول صحبته الليلة وأنت تريد ساعة منها الا أن تقصد المبالغة ، كما تقول أتاني أهل الدنيا لناس منهم ، بخلاف المنكر فانه لا يفيد ذلك فلما جيء بالمنكر وعدل عن تعريفه هنا علم انه لم يقصد استغراق السرى له ، وهذا هو المراد من البعضية . وقوله تعالى (من المسجد الحرام) المراد منه البيت الحرام أي الكعبة اذ لم يكن غيره حينذاك كما يعلم من التاريخ الصحيح . وقوله تعالى (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس وصفه بالاقصى أي الأبعد بالنسبة الى من بالحجاز فهو أبعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام . وأخرج الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول

عليه السلام : « بينا أنا في الحجر - وفي رواية العظيم - بين النائم واليقظان اذ أتاني آت
 فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبي فضله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل
 وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه ، الحديث . وفي بعض الروايات
 انه جاء جبريل وميكائيل عليه السلام وهو مضطجع بالحجر بين عمه حمزة وابن
 عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام وجاءوا به الى زمزم فألقوه على ظهره
 وشق جبريل صدره من ثغرة صدره الى أسفل بطنه بغير آلة ولا سبلان دم
 ولا وجود ألم ، ثم قال ميكائيل : انثني بطست من ماء زمزم فأثناه به فاستخرج
 قلبه الشريف وغسله ثلاث مرات ثم أعاده الى مكانه وملأه إيماناً وحكمة وختم
 عليه ثم خرج به الى باب المسجد ، فاذا بالبراق مسرجاً ملجماً فركبه . الخبر .
 وروى انه كان اذ ذلك في دار فاخذه أم هاني . فقد أخرج النسائي عن ابن عباس
 وأبو يعلى في مسنده والطبراني في كبيره من حديثها أنه عليه السلام كان نائماً في بيتها
 بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها ، وقال : مثل لي
 النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد وأخبر به قريشاً فن مصفق وواضع
 يده على رأسه تعجباً وانكاراً . وارتد الناس ممن آمن به عليه الصلاة والسلام
 وسعى رجال الى أبي بكر فقال : « ان كان قال ذلك لقد صدق » ، فقالوا :
 تصدقه على ذلك ، قال : اني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة
 أو روحة فسعى الصديق وكان في القوم من يعرف بيت المقدس فاستنقته إياه
 فجلالاً فطلق ينظر اليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فيه . فقالوا
 أخبرنا عن عبرنا فهي أم البنا هل لقبت منها شيئاً ، قال نعم : مررت بعير بني
 فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء
 فعمطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان فاسألوا هل وجدوا الماء في القدح حين
 رجعوا قالوا هذه آية . قال : ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا

فنفر بعيرها مني فانكسر فاسألوهما عن ذلك ، قالوا هذه آية أخرى . ثم سألوهم
عن العدة والاحمال والمبشرات فثقلت له العير فأخبرهم عن كل ذلك وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان يقدمها جل أورك عليه غرادتان
مخبطتان ، قالوا وهذه آية أخرى . فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثانية فجعلوا
ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه إذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت ، وقال
آخر وهذه العير قد أقبلت يقدمها بعير أورك فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا
وقالوا هذا سحر مبین . قاتلهم الله أنى يؤفكون

وقد طعن القاضي عبد الجبار فيما ذكر من الشق ونحوه بما حاصله أنه يلزم
على وقوعه في الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النبوة وهو لا يجوز ، ووقوعه
بعد النبوة وإن لم يلزم عليه ما ذكر إلا أن ما ذكر معه من حديث الغسل وادخال
الرأفة والرحمة والحسنة يرد عليه أن الغسل مما لا أثر له في التكميل الروحاني وإنما
هو لازالة أمر جسماني وأنه لا يصح ادخال ما ذكر وحشوه قائما هو شي . يخلقه
الله تعالى في القلب ، وليس بشيء . فإن تقدم الخارق على النبوة جائز عندنا ونسبته
إرهابا ، والأخبار كثيرة في وقوعه له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة ، والغسل
بالماء . كان لازالة أمر جسماني ولا يبعد أن تكون ازالته وغسل المهل ماء مخصوص
كما زمزم - على ما صح في بعض الروايات ، ولذا قال الباقر : أنه أفضل من
ماء الكوثر - موجبا لتبديل المزاج وهو مما له دخل في التكميل الروحاني ولذا يأمر
المشايخ السالكين لديهم بالرياضة التي يحصل بها تبديل المزاج . ويرشد الى ذلك
تغيير أحوال النفس وأخلاقها صبا وكهولة وشيخوخة . والمراد من ادخال الرأفة
وحشو الايمان مثلا ادخال ما به يحصل كمال ذلك وكثيرا ما يسمى المسبب باسم
السبب مجازا ، وبمحمل أن يكون على حقيقته وتجسم المعاني جائز . وقال العارف
ابن أبي جرة كما في المواهب اللدنية للقسطالاني ما حاصله : ان ما دل كلام النبي

ﷺ على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التي ليس للحواس الى ادراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه ﷺ في نفس الامر وان الحكم من المتكلم أو نحوه عليها بالعرضية انما هو باعتبار ما ظهر له بعقله وللعقل حديقف عنده والحقيقة في الحقيقة ما دل عليه خبر الشارع المؤيد بالوحي الالهي والنور القدسي المخلق بجناحيهما في جو الحقائق الى حيث لا يسمع لنحلة العقل دندنة ولا لارواة عنه عنقته . فالايان والحكمة ونحوهما ما دل عليه كلام النبي ﷺ على جوهريتها محسوسة الامعان وان حسبها من حسبها كذلك اه . والامر فيه اعتقاداً وانكاراً اليك والا أزمك الاعتقاد فما أريد أن أشق عليك ، وقال بعض الأجلة لعل ذلك من باب التمثيل إذ تمثيل المعاني قد وقع كثيراً كما مثل له ﷺ الجنة والنار في عرض حائط مسجده الشريف ، وقائده كشف المعنوي بالمحسوس وهو ميل الى عدم الوقوع حقيقة . وقد قال غير واحد جميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقاً للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له ، ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في تأويلهم نصوص سؤال الملكين وعذاب القبر ووزن الاعمال والصراط وغير ذلك بالثشي . وأما حكمة ذلك مم امكان ايجاد ما ترتب عليه بدونه فقد أطالوا الكلام في بيانها في موضعه

وقد اختلف في سنته فذكر النووي في الروضة انه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وفي الفتاوي انه كان سنة خمس أو ست من النبوة . ونقل عنه الفاضل الملا أمين العمري في شرح ذات الشفاء الجزم بأنه كان في الثانية السنة عشرة من المبعث ، وعن ابن حزم دعوى الاجماع على ذلك وضعف ما في الفتاوي بأن خديجة رضي الله عنها لم تصل الخمس وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وقبل كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . ووقع في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس انه كان قبل أن يوحى اليه ﷺ وقد خطأه

غير واحد في ذلك . ونقل الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله ثم قال : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس زاد فيه زيادة مجهولة وآتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة فلم يأت أحد منهم بما آتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث وأجاب عن ذلك محيي السنة وغيره بما ستسمعه ان شاء الله تعالى . وكذا اختلف في شهره ولياته فقال النووي في الفتاوي كان في شهر ربيع الاول ، وقال في شرح مسلم تبعاً للقاضي عياض انه في شهر ربيع الآخر ، وجزم في الروضة بأنه في رجب ، وقيل في شهر رمضان ، وقيل في شوال ، وكان على ما قيل في الليلة السابعة والعشرين من الشهر وكانت ليلة السبت كما نقله ابن الملقن عن رواية الواقدي ، وقيل كانت ليلة الجمعة لمسكن فضلها وفضل الاسراء ، ورد بأن جبرائيل عليه السلام صلى بالنبي ﷺ أول يوم بعد الاسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر ، قاله محمد بن عمر السفيري وفيه أن العمري ذكر في شرح ذات الشفاء أن الجمعة والجماعة وجبتا بعد الصلوات الخمس وفي شرح المنهاج للعلامة ابن حجر أن صلاة الجمعة فرضت بمكة ولم تتم بها لفقد العدد أو لأن شعارها الاظهار وكان ﷺ بها مستخفياً ، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة ونقل الدميري عن ابن الاثير انه قال الصحيح عندي انها كانت ليلة الاثنين واختاره ابن المنير . وفي البحر : قيل ان الاسراء كان في سبع عشرة من شهر ربيع الاول والرسول ﷺ ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً ، وحكى انها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عن الجرمي . وقيل ليلة السابع والعشرين من رجب وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته . وبالجملة فالأقوال في هذا كثيرة . وهي على ما نقل السفيري عن

الجمهور أفضل القبايلي حتى ليلة القدر مطلقا ، وقيل هي أفضل بالنسبة الى النبي ﷺ ، وليلة القدر أفضل بالنسبة الى أمته ﷺ ورد بأن ما كان أفضل بالنسبة اليه ﷺ فهو أفضل بالنسبة الى أمته عليه الصلاة والسلام فهي أفضل مطلقا ، نعم لم يشرع التعبد فيها والتعبد في ليلة القدر مشروع الى يوم القيامة . هكذا اختلفوا ولم يستند واحد منهم الى حديث صحيح يقتضي القطع في شيء . مما قالوا قالوا يجب الامساك عن تعيين وقتها واعتقاد ما جاء به القرآن والاحاديث الصحاح من انه ﷺ أمرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الانصى ، وان الملائكة أتوه وهو في الحجر أو في الحطيم ، فتعين انه كان قبل الهجرة كما هو مقتضى ما قدمناه من رواية الشيخين في صحيحيهما وغيرهما في غيرهما

وقد اختلفوا أيضا في انه كان في البقعة أو في المنام فعن الحسن أنه في المنام وروى ذلك عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ولعله لم يصح عن عائشة كما في البحر، وكانت رضي الله عنها إذ ذاك صغيرة ولم تكن زوجته عليه الصلاة والسلام وكان معاوية كافرا يومئذ . واحتج لذلك بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) لأن الرؤيا تختص بالنوم لغة ووقع في حديث شريك المتقدم ما يؤيده

وذهب الجمهور الى انه في البقعة بيدنه وروحه ﷺ والرؤيا تكون بمعنى الرؤية في البقعة كما في قول الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلاه

وقال الواحدى انها رؤية البقعة لئلا فقط وخبر شريك لا يعول عليه على ما نقل عن عبد الحق . وقال النووي : وأما ما وقع في رواية شريك وهو نائم وفي أخرى عنه بينما انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتاج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك اليه وليس في الحديث

ما يدل على كونه عليه السلام نائماً في القصة كلها واحتج الجمهور لذلك بأنه لو كان مناماً ما تعجب منه قريش ولا استحالوه لأن النائم قد يرى نفسه في السماء ويذهب من المشرق الى المغرب ولا يستبعده أحد ، وأيضاً العبد ظاهر في الروح والبدن وذهبت طائفة منهم القاضي أبو بكر والبغوي الى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بأن الاسراء كان مرتين احدهما في نومه عليه السلام قبل النبوة فأسرى بروحه توطئة وتيسيراً لما تضعف عنه قوى البشر واليه الإشارة بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ثم أسرى بروحه وبدنه بعد النبوة . قال في الكشف وهذا هو الحق وبه يحصل الجمع بين الاخبار

وحكى المازري في شرح مسلم قولاً رابعاً جمع به بين القولين فقال كان الاسراء بجسده عليه السلام في اليقظة الى بيت المقدس فكانت رؤية عين ثم أسرى بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام منه الى ما فوقه فكانت رؤيا قلب ولذا شنع الكفار عليه عليه الصلاة والسلام فوله أتيت الى بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا عليه قوله فيما سوى ذلك ولم يتعجبوا منه لأن الرؤيا ليست محل التعجب ، وليس معنى الاسراء بالروح الذهاب يقظة كالانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية والحكماء فانه وإن كان خارقاً للعادة ومحلاً للتعجب أيضاً إلا انه أمر لا تعرفه الغرب ولم يذهب اليه أحد من السلف

لكن قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى فكلموا اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع ، والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويعجباً هؤلاء الذين زعموا انه مراراً كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل

مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير
 خمسا ثم يقول : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة
 الثانية الى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ، وقد غلط الحفاظ شريكا في
 الفاظ من حديث الامراء ومسلم أورد المسند منه ثم قال قدم وآخر وزاد
 ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله اه وابن القيم بكلامه هذا
 يشير الى ما قاله الحفاظ عبد الحق في حديث شريك والى عدم قبول
 ما أجاب به النووي وغيره من تعدد الامراء والمعراج لعدم موافقته لما جاء
 في الفصة من فرض الصلاة وغير ذلك من انكار قريش واستناعتهم المسجد
 الأنهى منه ﷺ وسؤالهم له عن غيرهم واخباره بما أخبرهم به وموافقة خبره
 للواقع فان كل ذلك مما يقطع بأن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة على
 الوجه الذي ذكره الحفاظ في مصاحهم . فيكون في زمان واحد وفي مكان واحد ،
 وعلى ذلك فاختلف الروايات في المكان الذي كان فيه النبي ﷺ عند ما جاءه
 الملك لا يمنع من الاتحاد لأن الأماكن التي جاءت في الروايات متقاربة لأن
 بيت أم هانيء هو بيته والاضافة اليه لادنى ملازمة كما أن الملكين أتياه في الحجر
 محمول على أن ذلك بعد أن حملاه من بيت أم هانيء الى الحجر وكل هذه
 الاماكن في الحرم ومتقاربة . وكذلك رواية أنه كان معه رجلان عمه وابن عمه
 لا تعارضها الرواية التي لم تذكر ذلك لان الزيادة ناطقة والرواية الأخرى ساكنة
 عن الزيادة والساكن لا يعارض الناطق فكان المعول عليه هو ما ذكرناه من
 أن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة وانه كان مضطجعا بين عمه وابن
 عمه في بيت أم هانيء . ولذلك قال الاكثر ان المعراج كالاسراء بالروح والبدن
 ولا استحالة في ذلك . وما قاله الفلاسفة من امتناع الحرق والالتئام على الافلاك
 ووجود كرات نارية وغير ذلك مما يمنع الوصول الى السماء قد تبين كذبه ، وان

الافلاك ليست أجساماً صلبة وأنه لا استحالة في قبولها الحرق والالتهام ، وان كون هناك كرة نارية لم يثبت بل القدي ثبت خلافه وان الكواكب هي التي تسبح في أفلاكها كما قال تعالى « كل في فلك يسبحون » فنسب السباحة التي هي السير مع الانبساط كسباحة السمك في الماء كما قاله ابن عباس الى الكواكب دون الافلاك ولا استحالة أيضاً من حيث بعد المسافة مع قصر الزمن جداً ولا غرابة فيه ألا ترى أنه قد ثبت بالهندسة أن مساحة قطر جرم الأرض ألفان وخمسمائة وخمسة وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ وان مساحة قطر كرة الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر جرم الأرض وذلك أربعة عشر ألف فرسخ وان طرف قطرها المتأخر يصل موضع طرفه المتقدم في ثلثي دقيقة فتقطع الشمس بحركة الأرض على المعروف الآن أو بحركة الفلك الأعظم على رأي القدماء أربعة عشر ألف فرسخ في ثلثي دقيقة من ساعة مستوية والله تعالى القادر على جميع الممكنات قادر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ وفيما يحمله عليه الصلاة والسلام

والآية وان لم تعرض لانه ﷺ كان في الاسراء به محمولا على شيء لكن صحت الاخبار بأنه ﷺ أسرى به على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فيلتحق بيانا لما أجملته الآية

وقد ذكر الثعالبي في تفسيره في وصف البراق أنه كان اذا أتى على راد طالت يده وقصرت رجلاه واذا أتى على عقبة طالت رجلاه وقصرت يده وكانت المسافة في غاية الطول . ففي حقائق الحقائق كانت المسافة من مكة الى المقام الذي أوحى الله تعالى فيه الى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أوحى قدر ثلاثمائة ألف سنة وقيل خمسين ألفاً وقيل غير ذلك ، وكيف يمكن أن يكون أدنى اشتباه في ذلك فضلا عن الاستحالة وقد كان معه ﷺ جبريل وهو الذي

كان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف ، فهو لعمرى أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرروه في الحكمة الجديدة . وإنما يستغرب ويستبعد لو كان ﷺ ماشياً على قدميه أما إذا كان محمولا على البراق وهو من الملائكة ومعه جبريل وهو منهم وقد علمت مقدار مدة هبوطه الى الانبياء ورجوعه الى السماء . والملائكة أنوار الالهية أقوى من ضياء الشمس فهم أسرع سيرا منه كما لا يخفى

ومن صرح بأن الاسراء والمعراج كان بالجسد والروح خاتم الولاية سيدي محمد بن عربي الحاملي المشهور بمحيي الدين ، فقال في الباب السادس عشر بعد الثلاثمائة : اعلم أيها الولي الحليم نور الله بصيرتك أن رسول الله ﷺ لما كان خلقه القرآن وتخلق بالاسماء وكان الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز انه تعالى استوى على العرش على طريق التمدح والثناء على نفسه اذ كان العرش أعظم الاجسام فجعل لنبية عليه الصلاة والسلام من هذا الاستواء نسبة على طريق التمدح والثناء عليه حيث كان أعلى مقام ينتهي اليه من أسرى به من الرسل وذلك بدل على أنه أسرى به ﷺ بجسمه ، ولو كان الاسراء به رؤيا لما كان الاسراء والوصول الى هذا المقام تمذحا ، ولا وقع من الاعراب في حقه إنكار على ذلك ، لأن الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل الحيوان له قوة الرؤيا فقال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح لانه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه أسرى به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام وهو قوله تعالى (لتريه من آياتنا انه هو السميع البصير) والضير في أنه يعود على محمد ﷺ فانه أسرى به فرأى الآيات وسمع صريف الاقلام فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حفظه

السمع وهو الصوت فانه عَزَّ وَجَلَّ عنه بالصريف ، والصريف الصوت . وبعد أن استدل على أن الصريف معناه افة الصوت قال : فدل على أنه يقى له من الملكوت قوة ما لم يصل اليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع فوصل الى سماع أصوات الاقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الاحكام فهذه الاقلام رتبة دون رتبة القلم الاعلى ودون اللوح المحفوظ فان الذي كتبه القلم الاعلى لا يتبدل وسمي اللوح المحفوظ من المحو فلا يحى ما كتب فيه وهذه الاقلام تكتب في ألواح المحو والاثبات وهو قوله تعالى (يحو الله ما يشاء ويثبت) ومن هذه الألواح تنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، فلماذا يدخل في الشرائع النسخ ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم وهو عبارة عن انتهاء مدة الحكم لا عن البداء فان ذلك يستحيل على الله تعالى ومن هنا كان يتروك عليه في شأن الصلوات الحسين لما فرضت عليه بين موسى وبين ربه الى هذا الحد كان منتهاه فيمحو الله عن امة محمد ﷺ ما شاء الله من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح الى أن اثبت منها هذه الخمسة وأثبت لمصلحتها أجر الحسين وأوحى اليه أنه لا يبدل القول لديه فصار جم بعد ذلك من موسى في شأن هذا الامر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده . انتهى المقصود من هذا الباب مما يتعلق بالاسراء .

واما ما يتعلق بالمعراج فبعد ان بين رضى الله عنه في الباب الرابع عشر بعد الثمانمائة ما يتعلق بمعارج الملائكة وانه لا يعرج من الملائكة الا من نزل وان لم ينظروهم الى الحق في كل شيء . ينزلون اليه فعم على الدوام إذا توجهوا لا يتوجهون الا الى الحق . ولحق صفة العلو على الاطلاق فعم من حيث نظرهم الى ما ينزلون اليه يقال تنزل الملائكة ومن حيث أنهم ينظرون الى الحق سبحانه

وتعالى يقال نخرج الملائكة ، فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزولهم الى الخلق
هروج الى الحق قال : ثم إن الله عين للرسول معارج يعرجون عليها وهم أتباع
الاتباع فان الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول ولهذا قيل للرسول (ولا
تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه) فهو مصنع تابع للملك ونحن
مع الرسول بهذه المثابة فاذا أنزل الملك بالوحي على الرسول وتلقاه منه القاه
الرسول على التابع وهو الصاحب فتلقاه منه فاذا عرج الملك عرج بذاته لانه
رجوع الى أصله وإذا عرج الرسول ركب البراق فعرج به البراق بذاته وعرج
الرسول لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية فكان محمولا في عروجه حمله
من عروجه ذاتي فتميز عروج الرسول عن عروج الملك ثم انه لما وصل الى
الذي لا يتعداه البراق وليس في قوته أن يتعداه تدلى الى الرسول الررفف فنزل
عن البراق واستوى على الررفف وصعد به الررفف وفارقه جبريل فسأله الصحبة
فقال انه لا يطيق ذلك وقال له « وما لنا الا له مقام معلوم » فلو أراد الحق صعوده
فوق ذلك المقام لكان محمولا مثل ما حمل الرسول ﷺ ولما وصل المعراج الررففي
بالرسول ﷺ الى مقامه الذي لا يتعداه الررفف زج به في النور زجة غمره النور
من جميع نواحيه وأخذ الحال فصار يتمايل فيه تمايل السراج اذا هب عليه نسيم
رفيق بميله ولا يطفئه ولم ير معه أحداً يأنس به ولا يركن اليه وقد أعطته المعرفة
انه لا يصح الانس الا بالمناسب ولا مناسبة بين الله وعبدته وإذا أضيفت المؤانسة
فإنما ذلك الى وجه خاص يرجع الى الكون فأعطته ﷺ هذه المعرفة الوحشة
لانفراده بنفسه وهذا مما يدل أن الاسراء كان بجسمه ﷺ لان الارواح
لا تتصف بالوحشة والاستيحاش فلما علم الله ذلك منه وكيف لا يعلمه وهو الذي
خلقه في نفسه وطلب عليه السلام الدنو منه بقوة المقام الذي هو فيه فتودى
بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيسا له به اذ كان أنيسه في المعهود فحن لذلك

وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في ذلك الوطن وكيف جاءه من العلو وقد تركه في الارض وقيل له في ذلك النداء يا محمد أف ان ربك يصلي فأخذه بذلك الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة الى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية فعلم ما أراد بنسبة للصلاة الى الله فسكن روحه ﷺ مع كونه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن قد وصف نفسه بأنه لا يفعل أمراً حتى يفرغ من أمر آخر فقال (سنفرغ لكم أيها الثقلان) فمن هذه الحقيقة قبل له ﷺ أف ان ربك يصلي أي لا يجمع بين شغلين يريد بذلك العناية بمحمد ﷺ حيث يقيم في مقام التفرغ له فهو تنبيه على العناية به والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك فان الذي ينال الانسان من التفرغ اليه أعظم وأمكن من الذي يناله من ليس له حال التفرغ اليه لان تلك الامور تجذبه عنه فهذا في حال النبي ﷺ وتشريفه فكانه معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقر به وبشرفه فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر الى الملك في الامر الذي وجه اليه فيه فقبل له تربص قليلا فان الملك في خلوته بعزل لك خلعة تشريف بخلعها عليك فما كان شغله عنه الا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم) تشريف بأن قيل له انما غاب هناك من أجلك وفي حقك فلما أدناه تدلى اليه فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى العين أى نجلى له في صورة علمه به فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام . فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج بخاصية ما عنده وخاصيته ماتنفرد به الرسالة فكان الولي اذا عرج به فيه يكون رسولا وقد أخبر رسول الله ﷺ ان باب الرسالة والنبوة قد أغلق فتبين لك ان هذا المعراج لاسبيل

لولى اليه البتة ألا ترى النبي ﷺ في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته
خمسون صلاة فهو معراج تشريع وليس للولى ذلك فلما رجع الى موسى عليه
السلام قال له راجع ربك يخفف عن أمتك الحديث الى أن صارت خمسا بالفعل
وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفي طول
الى آخر ما أطل به في هذا الباب من بيان معارج الاولياء وان الانبياء والرسول
يشاركون الاولياء في معارجهم باعتبار أنهم اولياء لا باعتبار أنهم أنبياء ورسول
وان براق الاولياء أعمالهم ورفرفهم صدقهم فيكون له ذلك معراجا ورفرفا معنويا
يناله فيه مائعطيه خواص المهم من مراتب الولاية والتشريف

واباك أن تظن أن هناك طي مسافة على نحو ما يثبتته الصوفية وبعض الفقهاء
للاولياء كرامة وقد جهل بعض الحنفية مثبتيه لهم وكفرهم آخرون وليس له وجه
ظاهر بل ربما يلزم مثبتيه القول بتدخل الجواهر . والفلاسفة والمتكلمون سوى
النظام يحولونه ويبرهنون على استحالة ، وادعى بعضهم الضرورة في ذلك وقالوا
المنع مكابرة

وانما أسرى به ﷺ ليلا لمزيد الاحتفال به عليه الصلاة والسلام فان
الليل وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك ولا يكاد يدعو الملك لحضرته
ليلا إلا من هو خاص عنده وقد أكرم الله تعالى فيه قوما من أنبيائه بأنواع
الكرامات وهو كالأصل للنهار ، وأيضاً الاحتفاء فيه لامة قصد أبلغ من الاحتفاء
في النهار وأيضاً قالوا ان المسافر يقطم في الليل مالا يقطم في النهار ومن هنا
جاء : عليكم بالدرجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار . وأيضاً أسرى
به ليلا ليكون ما يعرج اليه من عالم النور المحض أبعد عن الشبه بما يعرج منه
من عالم الظلمة وذلك أبلغ في الاعجاب . وقال ابن الجوزي في ذلك ان النبي
ﷺ سراج والسراج لا يوقد الا ليلا وبدر وكذا مسير البدر في الظلم الى غير

ذلك من الحكم التي لا يعلمها الا الله تعالى
ولم تنص الآية على دخوله ﷺ في المسجد الاقصى ، الا أن الاخبار
الصحيحة نصت على ذلك

وقوله سبحانه (الذي باركنا حوله) صفة مدح للمسجد الاقصى ، وفيها
ازالة اشتراك عارض . وبركته بما خصه الله به من كونه متعبد الانبياء عليهم
السلام وقبلة لهم وكثرة الانهار والاشجار حوله . وفي الحديث انه تعالى بارك فيما
بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس . وقيل بركته أن جعل الله
مياه الارض كلها تنفجر من تحت صخرته . قال الالوسي والله أعلم بصحة ذلك
وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال والاربعة التي يمنع من دخولها
الدجال فقد أخرج أحمد في المسند ان الدجال يطوف الارض الأربعة مساجد :
مسجد المدينة ومسجد مكة والاقصى والطور . والصلاة فيه مضاعفة ، فقد أخرج
أحمد أيضا وأبو داود وابن ماجه عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ انها قالت :
يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس ، قال أرض المحشر والمنشر اثنتاه وصلوا فيه فان
صلاة فيه بألف صلاة ، وفي رواية لاحد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام
انها قالت يا رسول الله فان لم تستطع احدا منا أن تأتيه قال اذا لم تستطع احدا كن
أن تأتيه فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن
صلى فيه ، وروى بعضه أبو دارود

وهو ثاني مسجد وضع في الارض لخبر أبي ذر : قلت يا رسول الله أى مسجد
وضع في الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت
كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدر كنك الصلاة فصل فان الفضل فيه
وقد أسسه يعقوب بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة بما ذكر في الحديث
وجده سليمان أو أنتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير . والكلام فيما

يتعلق بذلك مفصل في محله . وقوله تعالى (لتريه من آياتنا) أي لترفعه الى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة : فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قد عرج به من صخرة بيت المقدس واجتمع في كل سما مع نبي من الانبياء عليهم السلام كما في صحيح البخاري وغيره واطلع عليه الصلاة والسلام على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عندهم الا الله تعالى (انه هو السميع البصير) يجوز أن يكون الضمير له تعالى كما هو الاظهر وعليه الاكثر فيطابق قوله تعالى (بعبدك) ويؤيد ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقفه وينطبق عليه التعليل أتم انطباق . فان المعنى قرأ به وخصه بهذه الكرامة لانه سبحانه مطلع على أحواله وعالم باستحقاقه لهذا المقام أو أنه تعالى هو السميع لأقوال ذلك العبد البصير بأفعاله وبكونها مهذبة خالصة عن شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء مستأهلة للقرب والزلفى . ويجوز أن يكون الضمير له ﷺ ويكون المعنى ان هذا العبد هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا أو أن العبد الذي شرفه بهذا التشریف هو المستأهل له فانه السميع لأوامري ونواهي العامل بهما البصير الذي ينظر بنظرة العبارة في مخلوقاتي فيعتبر أو البصير بالآيات التي أريناه إياها كقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) وأيد هذا بمطابقة الضمائر العائدة عليه ﷺ وكذا لما عبر به عنه من قوله سبحانه عبده ولعل السر في مجيء الضمير محتملا للأمرين - كما قال الطيبي الإشارة الى أنه ﷺ انما رأى رب العزة وسمع كلامه به سبحانه كما في الحديث القدسي (بي بسمع وبني يبصر) وإنما أتى بضمير الفصل اما لان سماعه تعالى بلا اذن وبصره بلا عين على نحو لا يشاركه فيه تعالى أحد ، واما للاشعار باخصاصه ﷺ بتلك الكرامة

(وهذا هو المقام الثاني) وهو عروجه الى السماء وهو ثابت بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة . أما القرآن فقد قال تعالى (والنجم اذا هوى) أي

أقسم بالنجم اذا غرب وقيل اذا طلع (ما ضل صاحبكم وما غوى) أي ما عدل عن طريق الحق وما اعتاد باطلا قط فنفى عنه الضلال لبيان انه على الصواب في أقواله وأفعاله ونفى عنه النفي الذي هو الجهل مع اعتقاد فاسد وان كان داخلا فيما قبله للاعتناء بالاعتقاد والاشارة الى انه هو الذي عليه المدار في النجاة وصحة الاعمال، والخطاب لقريش. وأورده تعالى بعنوان صاحب لهم للابذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبراً ببراءته ﷺ مما نفى عنه بالكلية وبانصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى واتباع الحق والسداد والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتماً نفى ذلك تأكيداً لاقامة الحجة عليهم، وانما أقسم هنا بالنجم اذا غرب أو طلع للاشارة الى أن محمداً ﷺ هو الجهم الذي يهتدى به فكيف يمكن أن يكون ضالاً وغارياً (وما ينطق عن الهوى) أي النبي ﷺ ما يصدر نطقه فيما أتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلاً (ان هو الا وحى يوحى) أي ما الذي ينطق به الا وحى من الله عز وجل يوحى الله سبحانه اليه (علمه شديد القوى ذو مرة) أي علم صاحبكم وهو محمد ﷺ جبريل الذي هو شديد القوى كما قاله ابن عباس وقادة والربيع . فان جبريل عليه السلام هو الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلاً على شدة قوته انه قام قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بشمود صبيحة فأصبحوا جائعين. وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف فهو لعمرى أسرع من حركة ضياء الشمس على ماقروره في المسكة الجديدة ، والذي هو ذو مرة أى حصافة واستحكام في العقل فني الاول وصفه بالقوة في الفعل وفي هذا وصفه بقوة النظر والعقل وهو كناية عن ظهور الآثار البديعة . (فاستوى) أى فاستقام جبريل

على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عاينها وذلك عند غار حراء في مبدأ النبوة وكان له عليه السلام - كما في حديث الامام أحمد وعبد بن حميد وجماعة عن ابن مسعود - ستائة جناح كل جناح منها بسد الافق فالاستواء هنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قاله الراغب وهو المراد بالاستقامة أيضا ، وليس المراد منه ضد الاعوجاج ومن ذلك استوى الثمر بمعنى نضج ، يعنى استوى جبريل مع محمد عليهما السلام ليلة المعراج (وهو بالافق الاعلى) أي وجبريل بالافق الاعلى وهو الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر وأصل معنى الافق الناحية . وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحى لهم

واختلف في الضمير فقيل عائد الى النبي ﷺ والضمير في استوى عائد الى جبريل عليه السلام وجوز العكس ولا يخفى ما في ذلك من نشيت الضمائر فالاقرب أن كل الضمائر عائدة الى جبريل عليه السلام (ثم دنا فمدلى) أي قرب جبريل من النبي ﷺ فتعلق جبريل في الهواء ، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير ، والدوا الى الثمر المعلق كعناقيد العنب (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي فكان جبريل عليه السلام قريباً منه ﷺ مقدار قوسين ، وفيه اشارة الى ما كانت العرب تفعله في الجاهلية اذا تحالفوا فانهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون احدهما بالآخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأن القوسين ذاتا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا فيكون ذلك اشارة الى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه . ولا يخفى حسن موقع هذا الكلام في هذا الموضع ودلالته على شدة الاتصال بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي فأوحى جبريل الى عبده الله الذي أوحاه اليه ، وأبهم الوحي للتفخيم ، ويجوز عود الضمير في قوله ما أوحى الى الله تعالى ، أي أوحى جبريل الى عبده الله ما أوحاه الله الى جبريل ، والاول مروي

عن الحسن وهو أحسن (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد النبي ﷺ ما رآه يبصره من صورة جبريل عليه السلام . أي ما قال فؤاده ﷺ حين أبصر جبريل لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره ، فما كذب بمعنى ما قال الكذب . وقيل المعنى ما كذب الفؤاد البصر فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام ، وعلى كل حال فهذا من عالم الملكوت وكل ما كان في عالم الملكوت يدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه الى البصر . (أقمارونه على ما يرى) خطاب اقريش أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة . (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) أي أقسم لقد رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرة أخرى . ومرة أصلها مصدر مرمر فممر عن المرة بنزلة ولم يقل مرة بدلا ليفيد أن الرؤية في هذه المرة كانت بنزول ودنو كالرؤية في المرة الاولى الدال عليها ما مر . والمراد من هذه الجملة القسمية تأكيد نفى الريبة والشك عن المرة الاخيرة وكانت ليلة الاسراء (عند سدرة المنتهى) وهي شجرة نبق عن يمين العرش في السماء السابعة على المشهور . وفي حديث أخرجه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم في السماء السادسة نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الغيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها . وأخرج الحاكم وصححه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مرفوعا : يسير الراكب في الفتن منها مائة سنة والاحاديث ظاهرة في انها شجرة نبق حقيقة والنبات في الشاهد يكون ترايبا ومائيا وهوائيا ولكن لا يبعد من الله تعالى أن يخلقه في أي مكان شاء . وقد أخبر الله سبحانه عن شجرة الزقوم انها تنبت في أصل الجحيم وعلى كل حال فهي من عالم الملكوت لا من عالم الشهادة كما سيأتي الكلام عليه . وقيل اطلاق السدرة عليها مجاز لانها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل السدرة . وقيل لها سدرة المنتهى لانها كما أخرج عبد بن حميد وابن أبي

حاتم عن ابن عباس اليها ينتهي علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه الا الله تعالى
أو لانها ينتهي اليها علم الأنبياء ويعزب عنهم عما وراءها أو لانها تنتهي اليها
أعمال الخلائق بأن تعرض على الله عندها أو لانها ينتهي اليها ما ينزل من فوقها
وما يصعد من تحتها ، أو لانها تنتهي اليها أرواح الشهداء أو المؤمنين مطلقاً ،
أو لانها من رفيع اليها في الكرامة . وفي الكشف كلها منتهى الجنة
وآخرها ، ولا يخفى أنه لا مانع أن تكون جامعة لكل ما ذكر من الأقوال
لعدم التناقض ويكون كل قائل اقتصر فيما يقول على ما سمعه ورواه . (عندها جنة
المأوى) أي عند السدرة المذكورة جنة المأوى أي الجنة التي يأوي اليها المتقون
يوم القيامة وهي جنة الخلد كما روى عن الحسن واستدل به على أن الجنة في السماء
وقال ابن عباس - بخلاف في النقل عنه - وقناة هي جنة أخرى تأوي اليها
أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون . وقيل هي جنة تأوي اليها الملائكة ،
والاول هو الاظهر حملاً للفظ على معناه المعروف ، لكن الثاني والثالث
بوافقان ما تقدم في تفسير المنتهى ، خصوصاً وان حديث ابن عباس السابق
صريح في أنها في السماء السادسة ولم يقل أحد أن الجنة فيها بل الذي عين مكانها
قال انها فوق الكرمي وسقفها عرش الرحمن ومن هذا تعلم حال ما قاله الزمخشري
من أنها منتهى الجنة وآخرها الا اذا حمل على ما قاله قناة خصوصاً وقد قرأ
عليّ وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وزرّ ومحمد بن كعب وقناة
جنة بهاء الضمير وهو ضمير النبي ﷺ وجن فعل ماض أي عندها ستره ايواء
الله تعالى وجعل صنعه به أو ستره المأوى بظلاله فان هذا لا يلائم أن المراد
في القراءة المتواترة جنة الخلد . (إذ يفضى السدرة ما يفضى) أي يفضى السدرة
ما يفضيها من الامر الذي لا يحيط به نطاق البيان . وورد في بعض الأخبار تعيين
هذا الفاضي : فمن الحسن غشها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت ونحوه

حاروي عن أبي هريرة يفسها نور الخلاق سبحانه، وعن ابن عباس غشها رب
 العزة، وهو على هذا من المتشابه . وقال ابن مسعود ومجاهد وإبراهيم النخعي
 يفسها جراد من ذهب . وروي عن مجاهد أن ذلك تبدل أغصانها لؤلؤاً
 وياقوتاً وزبرجداً . وأخرج عبد بن حميد عن سلمة قال استأذنت الملائكة الرب
 تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة
 لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذا يكون الغشيان بمعنى الاتيان وهو
 يأتي بمعنى الاتيان كما يأتي بمعنى التغطية . وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى)
 أي ما مال بصره عليه الصلاة والسلام عما رآه وما تجاوزه بل أثبتة اثباتاً صحيحاً
 مستقبلاً وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه . أو ما عدل عن رؤية العجائب التي
 أمر برؤيتها وما جازها إلى ما لم يؤمر برؤيته ، ولا مانع من أن يكون لعموم
 الامرين وحذف المتعلق يؤذن به . وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه
 الكبرى) أقسم تعالى أنه قد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه
 الملكية والملائكوتية ليلة المعراج وقد جاء في بعض الاخبار تعيين ما رأى عليه
 الصلاة والسلام : أخرج البخاري وابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن مسعود
 أنه قال في الآية رأى رفرقا أخضر من الجنة قد سد الافق ، وعن ابن زيد
 رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها والذي ينبغي أن لا يحمل ذلك على
 الحصر كما لا يخفى فقد رأى ﷺ آيات كبرى ليلة المعراج لا تحصى ولا تكاد
 تستقصى . هذا وقد فسرت الآيات التي ذكرناها بغير ما ذكرناه فمن الحسن
 أن المراد بشديد القوى هو الله تعالى لا جبريل وفسر ذو مرة عليه بندي
 حكمة ويكون الضمير ان في قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى كما قال أبو حيان
 عائدتين إليه تعالى ، وقال ان ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان وعليه أيضاً
 تجعل الضمائر في قوله تعالى « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى

الى عبده ما أوحى « له عز وجل وكذا الضمير المنصوب في قوله واقد رآه نزلة أخرى . فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف لقد رأى محمد عليه الصلاة والسلام ربه وفسر دنوه تعالى من النبي ﷺ برفع مكانته عليه الصلاة والسلام عنده سبحانه وتدليه جل وعلا بجذبه بشرا مشره الى جناب القدس ، ويقال لهذا الجذب الغناء في الله تعالى عند المتألمين ، وأريد بنزوله تعالى نوع من دنوه المعنوي جل شأنه . وجوز بعضهم أن تكون الضمائر في دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى على ما روي عن الحسن للنبي ﷺ . والمراد ثم دنا النبي ﷺ من ربه تعالى فكان منه عز وجل قاب قوسين أو أدنى والضمائر في قوله فأوحى الخ لله تعالى ، وأشار بقوله الى عبده ولم يقل اليه الى التفتيح فالآية على هذا من المتشابه والأمر فيه مشهور . وذهب غير واحد في قوله تعالى علمه شديد القوى الى قوله سبحانه وهو بالافق الأعلى الى أنه في أمر الوحي وتلقيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدم . وفي قوله تعالى ثم دنا فتدلى الخ الى أنه في أمر الخروج الى الجناب الأقدس ودنوه سبحانه منه ﷺ ورؤيته عليه الصلاة والسلام إياه جل وعلا . فالضمائر في دنا وتدلى وكان وأوحى وكذا الضمير المنصوب في رآه الله عز وجل ويشهد لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شريك بن عبد الله : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء صدره المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة الحديث فانه ظاهر فيما ذكر واستدل به مثبتو الرؤية كجبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما وغيره . وقالت عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك فنفت الرؤية مطلقاً . أخرج مسلم عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على

الله الغريبة ، قال وكنت متكئاً فجاءت فقالت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني
 ألم يقل الله تعالى واقعد رآه بالافق المبين واقعد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا
 أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : لا ، إنما هو جبريل لم أره
 على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين : رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظم
 خلقه ما بين السماء الى الأرض الحديث . وأخرج البخاري أيضاً عن مسروق
 قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا أماء هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت لقد قف
 شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكن فقد كذب : من حدثك أن
 محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
 اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب «
 ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت « وما تدري نفس ماذا
 تكسب غداً » ومن حدثك أنه كنم فقد كذب ، ثم قرأت « يا أيها الرسول بلغ
 ما أنزل إليك من ربك » ولكنه رأى جبريل عليه السلام مرتين . اه وفي رواية
 ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق
 فقالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقالت يا رسول الله هل
 رأيت ربك ؟ فقال : إنما رأيت جبريل منهبطاً . ولا يخفى أن جواب رسول الله
 ﷺ ظاهر في أن الضمير المنصوب في رآه ليس راجعاً اليه تعالى بل الى
 جبريل واستدلت عائشة على ذلك بقوله تعالى « لا تدركه الابصار وهو يدرك
 الابصار » وبقوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب
 أو يرسل رسولا » فعلى هذا عائشة رضي الله عنها تنفي الرؤية مطلقاً كما قلنا وهو
 ظاهر ما قدمناه عن البخاري . ووجه الاستدلال بالآية الاولى ان الله عز وجل
 نفى أن تدركه الابصار ونفى الادراك يقتضي نفى الرؤية

وأجاب مثبتو الرؤية بأن المراد بالادراك الاحاطة وهو ادراك السكت وهم يقولون بنفيه أيضا ، ونفى الاحاطة لا يستلزم نفي الرؤية وقال النووي لم تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها حديث فيه لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ، وقد خالف عائشة ابن عباس فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول لا تدركه الابصار قال وبمحك ذاك اذا تجلى بنوره القى هو نوره وقد رأى ربه مرتين . وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس قال رأى محمد ربه ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وكعب الاحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون . وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه ، وأخرج ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير اثباتها وكان يشتد اذا ذكر له انكار عائشة رضى الله عنها وهو قول الاشعري وغالب اتباعه واستدل عائشة أيضا بالآية الثانية . ووجه الاستدلال بها ان الله تعالى حصر تكليمه لغيره في ثلاثة أوجه وهى الوحي بأن ياتى في روعه ما يشاء ، أو يكلمه بغير واسطة من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيبلغه عنه . فيستلزم ذلك انتفاء الرؤية عند حالة التكلم . وأجابوا عنه بأن ذلك لا يستلزم نفي الرؤية مطلقا وغاية ما يقتضى نفي تكليم الله على غير هذه الاحوال الثلاثة فيجوز ان التكلم لم يقع حالة الرؤية . وأقول قول النووي ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها فيه حديث مرفوع لذكرته غريب منه وهو محيى السنة فلان عائشة تقول فيما رواه مسلم عن مسروق عنها قالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال لا إنما هو جبريل لم أره على صورته الى آخر ما قدمناه ، وهكذا قالت أيضا فيما رواه ابن مردويه عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عنها كما

سبق . وقد وفق بعضهم بأن عائشة رضي الله عنها لا تنفى الرؤية مطلقا كما شاع عنها ولكنها إنما تنفى رؤية تدل عليها آية النجم التي نحن بصدددها واحتج بها مسروق فحصل ما روى عنها نفى صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته ﷺ ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو جبريل عليه السلام على ما بدل عليه جواب رسول الله ﷺ إياها وحل قوله عليه الصلاة والسلام في جوابها لا على أنه نفى للرؤية المحصورة وهي التي يظن دلالة الآية عليها ويرجع إلى نفي الدلالة. ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ولكن هذا التوفيق لا يلائم استدلال عائشة بالآيتين السابقتين، فلا نصاب أن الأحاديث التي رويت عن عائشة ظاهرة جدا في أنها تنفى الرؤية مطلقا وتسدل بالآيتين السابقتين وقد علمت الجواب عن استدلالها بهما، والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع. وقد أخرج عنه أحمد أنه قال: قال رسول الله ﷺ رأيت ربي، ذكره الشيخ محمد الصالحى الشامي تلميذ الحافظ السيوطى في الآيات البيّنات وصححه . وجمع بعضهم بين قولى ابن عباس وعائشة بأن قول عائشة محمول على نفى رؤيته تعالى في نوره الذي هو نوره المنعوت بأنه لا يقوم له بصر ، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لا يذهب بالابصار بقربة قوله في جواب عكرمة عن قوله تعالى لا تدركه الابصار وبحك ذلك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وبه يظهر الجمع بين حديثي أبي ذر: أخرج مسلم من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور أنى أراه، ومن طريق هشام وهام كلاهما عن قتادة عن عبد الله قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله فقال عن أي شيء كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك فقال أبو ذر قد سأله فقال رأيت نوراً فيحمل النور في الحديث الأول على النور القاهر للابصار بجعل التنوين

لتنوعه أو لتعظيمه ، والنور في الثاني على ما يقوم به البصر والتنوين للتنوعية وإن صححت رواية الأول كما حكاه أبو عبد الله المازري بلفظ نوراني بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نوراني بمعنى المنسوب الى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب اليه هو نوره الذي هو نوره والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب حمل مواطاة في حديث السبعات في قوله عليه الصلاة والسلام حجاب النور وهو النور المسامح من الاحراق الذي يقوم له البصر . ثم ان القائلين بالرؤية اختلفوا فمنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه سبحانه بعينه وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وهو مروي أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة واحمد بن حنبل . ومنهم من قال رآه عز وجل بقلبه وروى ذلك عن أبي ذر . أخرج النسائي عنه انه قال رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره . وكذا روى عن محمد بن كعب القرظي ، بل أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه انه قال قالوا يا رسول الله رأيت ربك قال رأيت به فؤادي مرتين ولم أره بعيني ثم قرأ « ما كذب الفؤاد ما رأى » وفي حديث عن ابن عباس يرفعه فجعل نور بصرى في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي وكان التقدير في الآية على هذا ما كذب الفؤاد فيما رأى ومنهم من ذهب الى أن إحدى الرؤيتين كانت بالعين والأخرى بالفؤاد وهي رواية عن ابن عباس أخرج الطبراني وابن مردويه عنه انه قال ان محمدا ﷺ رأى ربه عز وجل مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده . ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه انه توقف أي في الرؤية بالعين وقال انه ليس عليه دليل واضح قال في الكشف لان الروايات مصرحة بالرؤية أما انها بالعين فلا . وعن الامام أحمد انه كان يقول اذا سئل عن الرؤية رآه رآه حتى ينقطع نفسه ولا يزيد على ذلك وكأنه لم يثبت عنده ما ذكرناه ، واختلف فيما يقتضيه ظاهر النظم الجليل

فجزم صاحب الكشف بأنه ما عليه الأكثر من أن الدنو والتدلي مقسم ما بين النبي وجبريل صلاة الله وسلامه عليهما ، أي وإن المرثى هو جبريل وإذا صح خبر جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها لم يكن لاحد محيص عن القول به وكيف لا يصح وقد رواه الشيخان وعلى ذلك يحمل ما قاله عائشة على نفى الرؤبة العينية ولذلك لما نفت رضي الله عنها رؤية رسول الله ﷺ ربه بعينه في سؤال مسروق منها عن ذلك استدركت بقولها لكن رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته مرتين وأشارت بذلك الى قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى » قال الثعلبي : أي مرة أخرى وسماها نزلة على الاستعارة وذلك ان النبي ﷺ رأى جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته لما خلق عليها مرتين مرة بالأرض في الافق الاعلى ومرة في السماء عند سدرة المنتهى . وهذا قول عائشة وأكثر العلماء وهو الاختيار لانه قرن الرؤبة بالمكان فقال عند سدرة المنتهى ولانه قال نزلة أخرى ، ووصف الله تعالى بالمكان والازول الذي هو الانتقال محال . فان قلت كيف التوفيق بين نفى عائشة الرؤبة وإثبات ابن عباس إياها قلت يحمل نفياها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب والدليل على هذا ما رواه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى . قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء أيضا عن ابن عباس قال : لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه وقد رجح القرطبي قول الواقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل . قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي . اهـ وأنت تعلم أن الرؤية البصرية لها لوازم ضرورية لا يمكن أن تقع بدونها لاستحالتها في حقه تعالى فان من لوازمها محاذاة الرائي للمرثى وعدم المحجاب الكثيف وعدم القرب جداً وعدم

البعد جداً وغير ذلك، وكل هذه محالة في حقه تعالى فلو فرض صحة روايات أن الرؤية كانت بالعين فلا بد من تأويلها بما يوافق الدليل العقلي، على أن هناك دليلاً صريحاً على عدم وقوع رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا وذلك ما رواه مسلم من حديث أبي أمامة قال قال عليه الصلاة والسلام : واعلموا أنكم إن تروا ربكم حتى تموتوا . وأما رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة المعراج فلم تكن في الدنيا بل كانت في الملكوت الأعلى والدنيا لا تطلق عليه كما نقله العيني في عمدة القاري عن بعض المحققين ، فتكون هذه الرؤية ملكوتية خالية من تلك اللوازم فتتحد قطعاً مع رؤية البصيرة والقلب وعلى هذا يجب حمل كل الروايات التي جاءت فيها أن الرؤية كانت بصرية ويكون الخلاف لفظياً كما هو لفظي بين من قال برؤيته تعالى بالأبصار الخ وبين من نفاهما فإن من نفاهما فأنما نفى الرؤية التي من لوازمها ما قدمناه من المحالات ولا يستطيع أن يخالفه في ذلك أحد ، ومن أثبتها فأنما أثبت رؤية خالية من تلك اللوازم وهذه بالضرورة حقيقة أخرى غير حقيقة الرؤية ذات تلك اللوازم . فخذ هذا التحقيق

(وأما ما جاء في المعراج من السنة) فقد روى البخاري بسنده عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال النبي ﷺ « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر بين رجليين - فأُتيت بطست من ذهب مليء حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مرق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم مليء حكمة وإيماناً وأُتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار - البراق - فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء . فأُتيت على آدم فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من ابن نبي . فأُتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد

أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . فأثبت على عيسى وبمجيئ فقالوا : مرحباً بك من أخ ونبي . فأثينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . فأثبت يوسف فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من أخ ونبي . فأثينا السماء الرابعة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك . قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قيل : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . فأثبت على إدريس فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من أخ ونبي فأثينا السماء الخامسة . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . فأثينا على هارون فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من أخ ونبي . فأثينا (على) السماء السادسة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك . قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ (قال : نعم . قيل : مرحباً به) ، ولنعم المجيء جاء . فأثبت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحباً بك من أخ ونبي . فلما جاوزت بكى فقبل ما أبكك قال : يارب هذا الغلام الذي بعثت بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمي . فأثينا السماء السابعة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به . ولنعم المجيء جاء . فأثبت على ابراهيم فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من ابن ونبي . فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم ورفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبتة لها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيل في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم فرضت علي خمسةون .

صلاة فأقبلت حتى جثت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضت عليّ خمسون صلاة قال : أنا أعلم بالناس منك عالجت بني اسرائيل أشد المعالجة وإن امتك لا تطيق فأرجع الى ربك فسله فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مثله ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعل عشرة فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا فأتيت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت جعلها خمسا فقال مثله قلت : سلمت بخير فنودي اني قد أمضيت فربضني وخففت عن عبادي واجزيتي الحسنة عشرة اهـ . وهذا الحديث أخرجه البخاري في الحج مختصرا وفي كتاب الصلاة بسنده عن أبي ذر وفي بدء الخلق بسنده عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ، وفي الانبياء بسنده عن أبي ذر أيضا ، وفي آخر كتابه بسند فيه شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك وجاء فيما أخرجه في كتاب الصلاة قال أنس فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى و ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة وهذا يخالف لما في هذا الحديث . وقد قيل في التوفيق بينهما بأنه وجد في السادسة ثم ارتقى هو أيضا الى السابعة ، وكذا اختلف في موسى هل هو في السادسة أو السابعة والتوفيق فيه بمثل ما ذكر . ومراده بقوله « ولم يثبت » أنه لم يثبت فيما كان يحدث به أبو ذر فلا ينافي ثبوته في هذا الحديث . وقد أخرجه مسلم أيضا في الايمان بسنده عن معاذ بن هشام . وأخرجه الترمذي في التفسير عن محمد بن بشار عن غندر وأخرجه النسائي في الصلاة عن يعقوب عن ابراهيم الدورقي . وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة لكن طرقة في الصحيحين مقتصرة على أنس مع اختلاف أصحابه عنه ، فرواه الزهري عن أبي ذر كما في هذا الباب . ورواه قتادة عن مالك بن صعصعة ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني عنه عن النبي ﷺ بلا واسطة وفي سياق كل واحد منهم

ما ليس عند الآخر . وأخرجه النسائي أيضاً من طرق كثيرة عن أنس وأصح الروايات في ذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وهو ما قدمناه ومع ذلك فيمكن التوفيق . ومعنى رفع لي البيت المعمور ، أي كشف لي وقرب مني والرفع التقريب والعرض وكأنه أراد أن البيت المعمور ظهر له كل الظهور ، وكذلك سدره انتهى استُبينت له كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب اليه . وفي معناه رفع لي بيت المقدس . والبيت المعمور بيت في السماء حيال الكعبة اسمه الضراح بضم الصاد المعجمة وتخفيف الراء وبالحاء المهملة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة . وقوله نهران باطنان . قال مقاتل : هما السلسيل والكوثر ، ونهران ظاهران وجد بينهما في الحديث بقوله : النيل والفرات ، قيل يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيها وعن ابن عباس ان جميع المياه من تحت صخرة بيت المقدس ومن هنا يتفرق في الدنيا وقد علمت أن الألويسي قال في هذا الله أعلم بصحته فتذكر . قال البدر العيني في عمدة القاري . أما النيل فبدؤه من جبل القمر بضم القاف وسكون الميم وقيل بفتح الميم تشبيهاً بالقمر في بياضه ، وقيل ينبع من اثني عشر عينا هناك ويجري ثلاثة أشهر في القفار وثلاثة أشهر في العمران ، الى أن يجي . الى مصر فيفترق فرقتين عند قرية يقال لها شطنوف فيمر الغربي منه على رشيد وينصب في البحر الملح . وأما الشرقي فيفترق أيضا فرقتين عند جَوْجَر فتمر الغربية منها على دمياط من غربها وينصب في البحر الملح والشرقية منها تمر على أشمون طناح فينصب هناك في بحيرة شرقى دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط . وأما الفرات فأصله من اطراف أرمينية قريب من قالقلا ثم يمر على بلاد الروم ثم يمر بأرض ملطية ثم على سُمَيْسَاط وقلعة الروم والبحيرة وجسر ، ينبج وبالس وجعبر والرقفة والرحبة

وقرقيسيا وعانة والحديثة وهيت والأنبار ثم يمر بالطغوف ثم بالحلة ثم بالكوفة وينتهي الى البطائح وينصب في البحر الشرقي ، قالوا ومقدار جريانها على وجه الارض اربعةائة فرسخ اه . هذا كله بحسب ما وقفوا عليه في زماهم . وأما زماننا فقد اكتشفوا منابع النيل وسائر الانهر وضبطوها ضبطا دقيقا فمن أراد أن يقف عليه فليطلبه في محله وعلى كل حال فالذي رآه عليه السلام عند سدره المنتهى انما هو مثالها كما مثلت له النار والجنة وسائر الانبياء وغير ذلك . قوله في الحديث أما الباطلان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات . ولم يقل انهما في الجنة أو من الجنة كما قال في الباطنين ، والاحاديث لانجى ، على خلاف المشاهدات الثابتة بالحس الصادق قطعا فلا تغتر بما يقوله المتشدقون المتعولمون المتصولحون الذين يريدون أن يكذب الله ورسوله .

هذا ، وقد قدمنا انه تعالى قال في سورة الاسراء (انريه من آياتنا) وفي سورة النجم (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فنذكر لك طرقا مما رآه من الآيات . فقد رأى بينما هو يسير على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى عفريتا من الجن أي جنبا متمردا يطلبه بشعلة من نار كذا التفت رآه فقال له جبريل الا أعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه أي وقع على وجهه ، يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، أي علمني ، فقال جبريل « قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يخرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما ينخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا بطرق بخبر يارحم » فانكب على فيه وطفئت شعلته ، والحكمة في ذلك أن تعلم أمته هذه الكلمات فتقولها عند وجود ما يخيفها . ثم سار حتى أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : يا جبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعائة ضعف

وما انفقوا من شيء فهو يخلفه . وقال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) والحكمة في هذا أن يشخص الله له المجاهدين من أمته الذين يقاتلون لاعلاء كلمته تعالى وما لهم من الأجر على ذلك وأنه أجر مضاعف غير ممنون ترغياً لأمت في الجهاد وحضاً لها عليه . ووجد في طريقه أيضاً رجلاً طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما هي تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط ، فقالت : بسم الله تعس فرعون ، فقالت بنت فرعون : أولئك رب غير أبي ، لأن فرعون كان يقول لقومه كما قصه القرآن عليه (ما لكم من إله غيري) فقالت نعم ، فقالت : أفأخبر أبي بذلك ، قالت نعم فأخبرته ، فدعاها فقال : أولئك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل اليهم فراود المرأة وزوجها ان يرجعا عن دينها فأيا فقال : اني قاتلكما ، قالت احساناً منك ان قتلنا أن نجعلنا في بيت واحد فتدفنا فيه جميعاً قال ذاك لك بمالك علينا من الحق فأمر ببقرة من نحاس فأحيت ثم أمر بها وبأولادها ليلقوا فيها فألقوا واحداً بعد واحد وأخروا المرأة انتعذب بالتحسر على زوجها وأولادها حتى اذا بلغوا الى صغير وضع فيهم ، فقال لاهمه : يا أمه فعي ولا تتعاسي فانك على الحق ، فألقيت هي وزوجها وأولادها . وقد مثل الله بهذا التشخيص لنبيه ﷺ صورة من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، فان الرخصة انه يجوز له أن يجري كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان وإن العزيمة ان يصبر حتى اذا قتل كان شهيداً وكان له لسان صدق في الآخرين ويجبا حياة الشهداء عند رب العالمين . وهكذا كل من صبر على الامر بالمعروف الذي هو كالإيمان ونحوه والنهي عن المنكر الذي هو كالكفر ونحوه . وقد ورد عنه ﷺ تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ،

وشاهد يوسف عليه السلام ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم ، وتمقب ذلك
الطبي بقوله : برد دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن النبي ﷺ قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم ، وصاحب
جريج ، وصبي كان يرضع فمر ركب حسن الهيئة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني
مثل هذا ، فترك الصبي الثدي ، وقال : اللهم لا تجعلني مثله اهـ . ورده الجلال
السيوطي فقال : هذا منه على جاري عادته من عدم الاطلاع على طرق
الاحاديث والحديث المتقدم صحيح . أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في
صحيحه والحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا
من حديث أبي هريرة وقال على شرط الشيخين ، وفي حديث الصحيحين المشار
اليه آنفا زيادة على الأربعة الصبي الذي كان يرضع من أمه فمر ركب الخ
فصاروا خمسة وهم أكثر من ذلك ففي صحيح مسلم تكلم الطفل في قصة أصحاب
الأخدود . وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر ونظمها فقلت :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلا وفي زمن الهادي المبارك يختم
واسكن الطبي لم يقصد رد الحديث الذي جاء فيه الاربعة ولكنه أراد أن
بين حديث الصحيحين الدال على الحصر في الثلاثة وبين غيره مما دل على الزيادة
تعارضاً يحتاج الى التوفيق . وفي الكشف بعد ذكر حديث الاربعة وما تمقب به
عن الطبي نقل الزمخشري في سورة البروج خامسا فان ثبتت هذه أيضا فالوجه
أن يجعل في المهد قيدا وتأكيذا لكونه في مبادئ الصبا وفي هذه الرواية يحمل
على الاطلاق أي سواء كان في المبادئ أو بعينها بحيث يكون تكلمه من

الخوارق ولا يخفى أنه توفيق بعيد كذا قيل . ولكن لا يضره ارتكابه لضرورة التوفيق لانه أولى من رد أحد الحديثين مع صحة كل منهما وكون كل منهما خبرا لا يحتمل النسخ ولا بد من التوفيق لدفع التناقض المحال في كلام الشارع من احتمال مثل هذا

ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفترون عنهم من ذلك شيء أي لا ينقطع عنهم من ذلك شيء . فقال ياجبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء الذين تتناقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة أي يتركونها كسلا أو يؤخرنها عن وقتها . وهذا أيضا تشخيص وتمثيل لما سيكون من أمته عليه السلام من ترك الصلاة كسلا أو تأخيرها عن أوقاتها وبيان ما يترتب على ذلك من العذاب الشديد المستمر الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما نسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها أي ان عوراتهم مكشوفة فلا يسترون الا الملاحظة منها القبل والدبر والضريع شجر شائك لا تطيق الدواب أكله لحبسه وقيل هو الشوك اليابس والزقوم نبت شديد المرارة يوجد بتهامة قال القليوبي : ورضف جهنم بفتح الراء . وسكون المعجمة جهرها وهي حجارتها المحماة . فقوله وحجارتها عطف تفسير لان جهنم وقودها الناس والحجارة . فقال ياجبريل من هؤلاء ؟ فقال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا . والفرص من هذا أيضا تشخيص مانع الزكاة من أمته عليه السلام وتمثيلهم له عليه الصلاة والسلام بحالتهم التي يكونون عليها يوم القيامة وان تمتعوا في الدنيا بالملابس الفخمة الناضرة والاطعمة اللذيذة لكن يكون حالهم في الآخرة على ما وصفه الله في هذا التمثيل

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم فضيغ في قدورهم ولحم آخر في خبيث فجعوا

يأكلون من التي . الخبيث ويدعون النضيج الطيب . فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح . فهذا تشخيص آخر مثل فيه ترك الرجل امرأته الحلال واتباع امرأة حرام ، وترك المرأة زوجها الحلال واتباع الرجل الحرام ، باللحم النضيج الطيب وتركه واللحم التيء الخبيث وأكله مع وضوح حصول الفائدة دينا وأخرى فيما ترك ووضوح حصول الضرر دينا وأخرى فيما أكل . فمثل الزنا بأكل اللحم التيء والخبيث للإشارة إلى أن ذوى الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ينفرون من هذا ويستقبحونه لما فيه من الضرر والخبيث

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرفته فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . وتلا استدلالا على ذلك قوله تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط قوم وعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أي لا تقعدوا بكل طريق كان حسبا أو معنويا تخوفون الناس بتوعدهم بإيقاع الضرر بهم وتصرفون عن اتباع طريقه وشرعه ودينه من آمن به فيشمل قطع الطريق الحسي باخافة الناس وأخذ أموالهم وقتلهم وقطع الطريق المعنوي بأنه يثبط هم الناس الذين يريدون الإيمان بالله ورسوله ويضلهم بطرق الالحاد والقاء الشبه عليهم وإيقاع الشكوك في قلوبهم . فمثل قطع الطريق هؤلاء بالخشبة المعترضة في الطريق للإشارة إلى أن الانسان لا يصل إلى ذلك الا من بعد أن يخرج بطغيانه وضلاله عن الحيوانية فضلا عن الانسانية ويصير كالجماد الموضوع في الطريق لا يذء الناس فصار عقله تابعا لنفسه الامارة بالسوء كانه لا اختيار له فيما يصنعه من الشر كالخشبة المعترضة في الطريق التي يضعها لا يذء الناس

ورأى رجلا يسبح في نهر من دم يلثم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا فشبه أخذ أموال الناس بطريق الربا بالسباحة التي هي السير مع الانبساط وعدم وجود عائق كالسباحة في النهر فهو بظاهرة سهل لكن النهر من دم فهو نجس ملوث للجسم ويلثم الحجارة التي لا تنهضم ولا تصلح لافذاء للإشارة الى ان أخذ الربا وان كان فيه ربح ومنفعة في الظاهر لكن ذلك شبيه بالسباحة في نهر من دم مع انه يلثم الحجارة فهو ضرر وخسارة في الباطن قال تعالى (يمحى الله الربا ويربى الصدقات) وقال عز من قائل (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله)

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها . فشل في هذا التشخيص الرجل الذي يكون عنده حقوق الناس من ديون وودائع وغير ذلك ويكون عاجزا عن أدائها فيسوقه الطمع في أموال الناس الى أن يأخذ غيرها أيضاً لا يقصد بذلك الا أكل أموال الناس بالباطل فهو يحمل أوزار الناس على ظهره مع أوزاره فيأتي يوم القيامة وقد أفلس من حسناته كما أفلس في الدنيا من أمواله

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون . مثل في هذا التشخيص خطباء الفتنة الذين يخطبون على الناس ولأجل أن يقضوا لبائاتهم ويصلوا الى أغراضهم يقولون مثلاً للناس اذا اعتمدونا على كذا صنعنا معكم من الخير والمنافع ما هو كذا وكذا ودفعنا عنكم من المضار ما هو كذا وكذا ويفررون بالناس فيظهرون أنهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وهم لا يربدون الا الظهور لهم بظهور

الصالح والتقوى ليقضوا لباتاتهم الدنيوية الدنية ويصلوا الى ملء جيوبهم من الذهب والفضة. وهم في زماننا هذا كثيرون والجميع يقولون ما لا يفعلون قاتلهم الله أنى يؤفكون خصوصاً الذين يفررون بالناس ليصلوا الى المناصب العالية ومتى وصلوا اليها سعوا في الأرض بالفساد وأهلكوا الحرث والنسل وأوقعوا الضرر بالبلاد والعباد فأوام جهنم وبئس المهاد

ومر يقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . فمثل بهذا التشخيص الذين يفتابون الناس ويخوضون في أعراضهم فيذكرونهم بما يكرهونه ولو كانوا صادقين فيما ذكروا ان لم يكونوا متجاهرين بما يصنعون يقوم لهم أظفار من نحاس الخ للإشارة الى أن ضرر الغيبة إنما هو عائد على هؤلاء الذين يفتابون الناس فانه يؤخذ من حسنات هؤلاء ان كان لهم حسنات فتعطى لمن اغتابهم فان لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات هؤلاء فوضع على هؤلاء الذين اغتابهم قال تعالى (ولا يغتب بعضهم بعضاً أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) والغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ولو كنت صادقاً فتذكره بما فيه وهو يكره وأما اذا كان متجاهراً بما هو فيه جاز ذكره بذلك والتشفيع عليه ليرتدع أما اذا ذكرته بما ليس فيه فذلك بهت من القول قبيح مذموم . قال تعالى (ومن يعمل خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً)

ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من امتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها . فهذا مثل وتشخيص للشخص الذى يتكلم بالكلمة العظيمة الاثر في الدين بأن يقول كلمة كفر أو فسق ، او في الدنيا بأن يقول كلمة سب او عيب لشخص آخر ، فيريد ان

يتدارك الكلمة فلا يمكن . وقد جاء في الحديث ما معناه : إن الرجل لينكلم
الكلمة لا يلتقي لها بالافيهوى في النار سبعين خريفاً . وقد جاء في شعر
الحكيم :

فما جرح السهام له الثام ولا يلتام ما جرح اللسان
وقال الشاعر الحكيم ايضاً :

يموت الفتي من عثرة في لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول توجب قتله وعثرته بالرجل تبرأ على مهل
فالواجب على العاقل أن لا يتكلم الا بميزان وبعد ان يعلم عواقب ما يقول
فاذا تكلم تكلم بالحكمة والا سكت

وبينما هو يسير اذ هو بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها
الله تعالى . فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم يلتفت اليها . فقال : من هذه يا جبريل
قال : تلك الدنيا ، اما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ففي
هذا التشخيص مثل الدنيا بأنها تظهر للناس بظهر الثغري ، فمن أخذها بحقها
وأنفقها بحقها كانت مطيته الى النعيم المقيم ، ومن أخذها بغير حقها أو استعملها في
غير حقها كانت مطيته الى العذاب الاليم . والنبي ﷺ لم يلتفت اليها لا برأسه
ولا بعينه ولا بقلبه ولو التفت اليها لاختار كل أمة الدنيا على الآخرة ولكن
لما لم يلتفت لم يختار جميع أمة ذلك بل منهم من غرته الحياة الدنيا فاغتر بها
واختارها فملكته وسكنت قلبه فغلبته . ومنهم من لم يغتر بها فلم يملكها ولم يملكه
أو ملكها ولم يملكه والويل كل الويل لمن ملكته ملكها أو لم يملكها . الى غير ذلك
من الآيات التي رآها في طريقه الى المسجد الأقصى مما هو مذكور في المطولات
ومن الآيات التي رآها في عروجه على بعض الروايات كما ذكره العلاني في
تفسيره أنه كان للنبي ﷺ ليلة الاسراء خمسة مراكب : الأول البراق الى
بيت المقدس . الثاني المعراج منه الى السماء الدنيا . الثالث أجنحة الملائكة منها

الى السماء السابعة . الرابع جناح جبريل عليه السلام منها الى صدره المنتهى .
الخامس الرفرف منها الى قاب قوسين . وعلى رواية أنه لم يكن الا البراق من
المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم المعراج الى ما شاء الله تعالى . ومنها أن
المعراج كان له عشر مراقى : سبعة الى السماوات ، والثامن الى الصدر ، والتاسع
الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام ، والعاشر الى العرش . والبراق كما
ذكره ابن أبي حامد في كتابه الامثال في أسماء الخيل وصفاتها انه ليس بذكر
ولا أنثى ووجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور
وذنبه كذنب الفزال . وقال ابن اسحاق انه أبيض وفي فخذيه جناحان يحفز بهما
رجليه يضع حافره عند منتهى بصره . وقال الزبيدي وصاحب التحرير هي دابة
كان يركبها الانبياء . وعلى كل حال فهو من عالم الملكوت لا من دواب الدنيا

ومما رآه أيضاً منها أنه اجتمع في كل سماء مع نبي من الانبياء عليهم السلام
كما سبق واطلع عليه الصلاة والسلام على احوال الجنة والنار ورأى من الملائكة
ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى . ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه
الصلاة والسلام رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى خلقاً كثيرة الرجال على خيل
بلق شاكين السلاح طول الواحد منهم ألف عام والفرس كذلك ينبع بعضهم
بعضاً لا يرى أولهم ولا آخرهم . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : ألم تسمع
قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » فأنا اهبط وأصعد أراهم هكذا يمشون
لا أدري من أين يجيئون ولا الى أين يذهبون

ومنها أيضاً أنه ﷺ قد صلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في بيت
المقدس . قال في الحقائق وكانت صلواته عليه الصلاة والسلام بهم ركعتين قرأ في
الاولى قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بالاخلاص . وقال بعضهم كانت دعاء
وذكر أن الأنبياء كانوا سبعة صفوف : ثلاثة منهم مرسلون ، وأن الملائكة

صلت معهم وهذا من خصائصه ﷺ كما قاله القاضي زكريا في شرح الروض .
والحكمة في ذلك أن يظهر أنه امام الكل ﷺ . وهل صلى بأرواحهم خاصة أو بهامهم
الاجساد خلاف . والذي يظهر هو الأول لان اعادة الأرواح للاجساد وحياة
الاجساد بها إنما هي لمبقات يوم معلوم . وكذلك اختلف في أن صلاته بهم
كانت قبل العروج أو بعده فصحيح الحافظ ابن كثير أنه بعده وصحيح القاضي
عياض وغير أنه قبله وهذا هو الذي يظهر من الآثار الواردة في ذلك وجاء في
رواية أنه عليه الصلاة والسلام صلى في كل مساء ركعتين يؤم أملاكها

ومن الآيات أيضاً أن العروج كان في بعض ليلة واحدة وكان رجوعه
ﷺ على ما كان ذهابه عليه ولم يعين مقدار ذلك البعض

وكيفما كان فوقع ما وقع فيه من أعجب الآيات وأغرب الكائنات . وفي
بعض الآثار أنه ﷺ لما رجع وجد فراشه لم يرد من أثر النوم . وإنما
أسرى به ﷺ الى بيت المقدس وعرج به ثانياً منه ليكون وصوله الى الاماكن
الشريفة على التدرج فان شرف بيت المقدس دون شرف الحضرة النبي عرج
اليها على ما قيل . وقيل توطيناً له عليه الصلاة والسلام لما في المعراج من الغرابة
العظيمة التي ليست في الاسراء . وان كان غريباً أيضاً وقيل لتشرف به أرض
المحشر ذهاباً وإياباً وفي النفس من هذا الاخير شيء . (يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات)

وليست آية الاسراء نصاً في المعراج بل هي نص في الاسراء دونه اذ يجوز
حل قوله تعالى (لنريه من آياتنا) على ما حصل له ﷺ ليلة الاسراء فقط بل
قال بعضهم ليس في آيات القرآن مطلقاً ما هو نص في ذلك ، ومن هنا قالوا :
الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى قطعي ثبت بالكتاب فمن أنكره
فهو كافر والعياذ بالله تعالى . والمعراج ليس كذلك فمن أنكره ليس بكافر بل

مبتدع وكان سبحانه إنما لم يصرح به كما صرح بالاسراء رحمة بالقاصرين على ما قيل. والمراد بقولهم من أنكر الاسراء فهو كافر . ان من أنكر الاسراء بالكلية لا يقظة ولا مناماً ولا روحاً ولا جسداً كان كافراً لكون النص في مطلق الاسراء قطعياً ولم يخالف فيه أحد من المسلمين . أما من أنكر كونه يقظة بالجسم والروح فهو ليس بكافر لان العلماء قد اختلفوا فيه على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى أنه كان في المنام على اتفاقهم على أن رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي وحق . وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واحتجوا لذلك بما روي عن عائشة رضي الله عنها ما فقد جسد رسول الله ﷺ . وبقوله في بعض روايات حديث القصة بينما أنا نائم وبقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة وقال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف الى أنه كان بجسده وفي البقظة وهذا هو الحق وهو مذهب ابن عباس فيما صححه الحاكم . وعد في الشفاء عشرين نفساً قالوا بذلك من الصحابة والتابعين واتباعهم وهو مذهب أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين . وذهبت طائفة الى أن الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح والصحيح أنه أسرى بالجسد والروح في القصة كلها ويدل عليه قوله تعالى (سبحانه الذي أسرى بعبده) كما قدمناه اذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده . ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة أصلاً . وقال ابن عباس هي رؤيا عين وآها لا رؤيا منام . وأما قول عائشة ما فقد جسد رسول الله ﷺ فلم تحدث عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط . فاذا كان كذلك فقد حدثت بذلك عن غيرها فلا يرجح خبرها على خبر غيرها . وقال الحافظ عبد الحق في الجمع بين الصحيحين وما روى شريك عن أنس انه كان نائماً فهو زيادة مجعولة

وقد روي الحفاظ المتقنون والائمة المشهورون كابن شهاب وثابت البناني وقتادة عن أنس ولم يأت أحد منهم بها وشريك ليس بالحافظ من أهل الحديث . وقد تقدم تحقيق هذا فتدكره . وعلى كل فالمسألة خلافة اجتهادية فلا يكفر من يقول بقول من هذه الاقوال الثلاثة . وهذا لا ينافي أن الحق ما عليه أكثر السلف وأكثر الخلف عملا بظواهر النصوص

ولندكر ما يستنبط من حديث الاسراء من الاحكام والفوائد فنقول :
 منها أن البخاري روى هذا الحديث في كتاب الصلاة وقال أولا كيف فرضت الصلاة ثم أورد الحديث وفيه فخرج بي الى السماء ، وظاهر هذا أن الاسراء والمعراج واحد وظاهر إيراد البخاري لهذا الحديث في أحاديث الانبياء وأنه ترجم الاسراء بترجمته وأخرج فيها حديثا ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا يقتضي أن الاسراء غير المعراج فيؤخذ من هذا أنهما باعتبار كونهما ليلا في ليلة واحدة كانا شيئا واحداً وباعتبار أن الاسراء بصريح القرآن كان من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وإن المعراج يقتضي الاحاديث الصحيحة كان من بيت المقدس الى ما شاء الله أنهما متغايران فلا تناقض . ومنها أن قوله فنزل جبريل ، وقوله فخرج بي الى السماء يدلان على رسالة النبي ﷺ وعلى خصوصيته بأمور لم يعطها غيره . ومنها أن جبريل عليه السلام هو الذي كان ينزل على النبي ﷺ من عند الله وبأمره تعالى . ومنها أن فيه دلالة على اثبات الاستئذان وبيان الادب فيما إذا استأذن أحد بدق الباب ونحوه وأنه إذا قيل له من أنت يجيب بالاسم الذي هو مشهور به ومعروف عند السائل ولا يقول أنا مثلاً مما يكون فيه الإبهام . ومنها أن اذن الرسول يقوم مقام اذن مرسله لأن خازن كل سما لم يتوقف في الفتح له على الوحي اليه بذلك بل عمل بلازم الارسال اليه وأن الله الذي أرسل جبريل

أذن بذلك . ومنها أنه علم أن السماء أبه أبا حقيقة وحفظة موكلين بها . ومنها علم أن رسول الله ﷺ من نسل إبراهيم حيث قال له : والابن الصالح بخلاف غيره من الانبياء المذكورين فيه فانهم قالو له الاخ الصالح ما عدا آدم وإبراهيم عليهما السلام . ومنها جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه الاعجاب وغيره من أسباب الفتن . ومنها أن فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله . ومنها ما قالت الشافعية ان فيه عدم وجوب صلاة الوتر حيث عين الخمس . قلنا نحن أيضاً قول بذلك وان الوتر لم يجب ليلة الاسراء ، وانما كان وجوبه بعد ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله زادكم صلاة الحديث . فلذلك انحطت درجته عن الفرض اعتقاداً . وقال أبو حنيفة انه فرض عملاً لان ثبوت الفرائض الخمس بدليل قطعي وهو بدليل ظني . ومنها أن في ظاهره أن ارواح نبي آدم من أهل الجنة والنار في السماء ولكن في هذا كلام طويل وخلاف عظيم يطلب من المطولات . والحق أن الارواح مثلت له كما مثل آدم . ومنها أنه أفاد أن الجنة والنار مخلوقتان . قال ابن بطال وفيه دليل على أن الجنة في السماء . ومنها أنه استدلل به بعضهم على جواز تحلية المصحف ونحوه بالذهب وهذا استدلال بعيد لان ذلك كان فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم أن يكون حكمهم كحكمنا وبحاجة أيضاً الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ومع هذا كان هذا على أصل الاباحة ، وتحريم استعمال الذهب والفضة كان بالمدينة . ومنها أن قومًا استدلوا بنقص الصلوات من خمسين الى خمس على جواز نسخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين : أحدهما البناء على أصله ومذهبه أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لان ذلك عنده من البداء والبداء على الله تعالى محال . الثاني أن العبادة اذا جاز نسخها قبل العمل بها عند من يراه فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها الى الارض ووصولها الى المخاطبين . قال

وأما ادعى النسخ فيها القاشاني ليصحح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر .
قال أبو جعفر : وهذا إنما هي شفاعته شفعا رسول الله ﷺ لأمته ومراجعة
راجها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى نسخا . وقال السهيلي قول أبي جعفر ذلك
بداء ليس بصحيح لأن حقيقة البداء أن يبدو الأمر رأي يقين له الصواب فيه
بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال في حقه تعالى . والذي يظهر أنه نسخ ما وجب
على النبي ﷺ من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب ، وهذا
نسخ على الحقيقة ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان في كل مرة عازما على
تبليغ ما أمر به ، ومراجعته وشفاعته لاتنفي النسخ ، فإن النسخ قد يكون عن سبب
معلوم فشفاعته ﷺ لأمته كانت سببا للنسخ لابطالة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرناه
من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات في خاصته . وأما أمته فلم
ينسخ عنهم حكمه اذ لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله الى المأمور وتبليغه الخطاب
وفهمه وهذا أحد وجهين في الحديث . والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لاتعبد
فاذا كان خبرا لا يدخله النسخ . ومعنى الخبر انه ﷺ أخبره ربه ان على أمته
خمس صلوات ومعناه أنها في اللوح المحفوظ خمسون ، فأولها النبي ﷺ على أنها
خمسون بالفعل فينبغي له ربه عند مراجعته أنها في الثواب لافي العمل . ولا يخفى
ما في هذا الوجه من مخالفته ظاهر الحديث ، فإن مراجعته وتنزيلها خمسا خمسا على
رواية أو عشرة عشرة ثم خمسا على رواية ينافي هذا . ومنها فرضية الصلوات
الخمس ، قال ابن بطال : أجمعوا على أن فرضية الصلاة كانت ليلة الاسراء .
قال ابن اسحق : ثم أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى فهمز بعقبه في ناحية
الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضأ جبريل عليه السلام ومحمد عليه السلام
بنظر فرجع رسول الله ﷺ فأخذ بيد خديجة رضي الله عنها ثم أتى بها العين
فتوضأ كما توضأ جبريل عليه السلام ، ثم صلى هو وخديجة ركعتين كما صلى جبريل

عليه السلام . وقال نافع بن جبير : أصبح النبي ﷺ ليلة الاسراء فنزل جبريل حين زالت الشمس فصلى به وقال جماعة لم تكن صلاة مفروضة قبلها الا ما كان أمر به من قيام الليل من غير تحديد ركعات وأوقات حضور وكان يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة ، وعلى هذا فما صلاه جبريل مع النبي ﷺ أولاً وصلاه النبي ﷺ مع خديجة ثانياً كان حين زالت الشمس فلا خلاف بين ما قال ابن اسحق وبين ما قال نافع بن جبير سوى ان الاول فصل القصة دون الثاني ولا خلاف بينهما وبين ما قاله جماعة من انه لم تكن صلاة مفروضة قبلها . وهذا الحل متعين جمعا بين الروايات . ومنها ان أعمال بنى آدم الصالحة تسر آدم وأعمالهم السيئة تسوء . ومنها انه يجب أن يرحب بكل أحد من الناس في حين لقائه بأكرام النازل وأن يلاقيه بأحسن صفاته وأعمها بحمिल الثناء عليه . ومنها أن أرواح المؤمنين يصعد بها الى السماء . ومنها أن أوامر الله تكتب بأقلام شتى وان العلم ينبغى أن يكتب بأقلام كثيرة تلك سنة الله في سمواته فكيف في أرضه ؟ فرآها ﷺ في السماوات ليجمعها في الارض وقد فعل عليه الصلاة والسلام . ومنها أن ما قضاه الله وأحكمه من آثار معلومة وآجال محدودة وشبه ذلك مما لا يبدل لديه سبحانه . وأما ما نسخه رفقاً بعباده فهو الذي قال فيه « يحو الله ما يشاء ويثبت » والاول هو الذي قال فيه « وعنده أم الكتاب » وهي المحكمات التي لا تقبل النسخ بحال كما قال تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » . وقد أورد هنا أسئلة وأجابوا عنها . فمنها ما قيل : ما وجه اعتناء موسى عليه السلام بهذه الأمة من بين سائر الانبياء عليهم السلام الذين رآهم النبي ﷺ ليلة الاسراء ؟ وأجيب عن ذلك بأنه قد ورد أن موسى عليه السلام قال : يارب اجعلنى من أمة محمد ، لما رأى من كرامتهم على ربهم فلذلك اعتنى بأمرهم وأشفق عليهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم . وقال

الداودي : انما كان ذلك من موسى لانه أول من سبق اليه حين فرضت الصلاة
فجعل الله في قلب موسى عليه السلام ذلك ليتم ماسبق من علم الله تعالى . وهذا
انما يصح اذا كانت مقابلة النبي ﷺ لموسى في السماء السابعة والا فاول من
يستقبله ابراهيم اذا قلنا انه قابله في السابعة وقد قدمنا الخلاف في ذلك والتوفيق
بين الرويتين فتذكره . ومنها ما قيل : مامعنى نقص الصلاة عشرة ا بعد عشر ؟
وأجيب بأنه ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها الى آخرها ، وقد
جاء انه يكتب له ما حضر قلبه فيه منها وانه يصلي فيكتب له نصفها أو ربعها
حتى تنتهي الى عشرة ها فهي خمس في حق من يكتب له عشرة ها وعشر في حق
من يكتب له أكثر من ذلك وخمسون في حق من كملت صلاته بما يلزمه من تمام
خشوعها وكمال سجودها وركوعها . ومنها ما قيل : لماذا جعلت خمسين في الأجر
وخمسا في الفعل ولم تجعل ستين في الأجر مثلا وخمسا في الفعل . وأجيب عن
ذلك بأن المواقف يوم القيامة خمسون موقفاً مدة كل موقف ألف سنة ، فمجموع
مدة المواقف خمسون ألف سنة وهو المشار اليه بقوله تعالى « في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة » وليبيان مدة كل موقف جاءت الاشارة في الآية الأخرى
التي ذكر فيها أن مقدار اليوم ألف سنة فجعلت الصلوات على خصوص ذلك
العدد للاشارة الى أن الصلوات الخمس تساعد باذن الله تعالى اذا أقامها على
وجه ما أمره الله تعالى في تلك المواقف ويسهل الله عليه أمره فيها بسبب الصلاة
اذا حافظ عليها وعلى أدائها في أوقاتها على تمام خشوعها وكمال سجودها
وركوعها . ومنها ما قيل : كيف رأى النبي ﷺ من رآه من الانبياء في السماء مع
أن مقرهم في الأرض ؟ والجواب : ان الله تعالى شكل أرواحهم على هيئة أجسامهم
كما ذكره ابن عقيل . وكذا ذكره ابن التين وقال : وانما تعود الأرواح الى
الأجساد يوم البعث كما قدمناه ، الا عيسى عليه الصلاة والسلام فانه حي لم يموت

وينزل الى الارض . وقال بعضهم : ان الأنبياء أحياء في قبورهم ، وقد رآهم النبي ﷺ حقيقة وقد مر على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة . ولا يخفى أن هذا لا ينافي ما قاله ابن التين من أن الارواح انما تعود الى الاجساد يوم البعث ، لأن عود الارواح الى الاجساد يوم البعث هو الذي يقتضي أن تعود الاجساد الى الحياة المشاهدة التي يترتب عليها الحركات والسكنات وجميع الافعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه في الحياة الدنيا . وأما حياة الأنبياء في قبورهم فهي حياة ملكوتية بها يقدر على حركات وسكنات وأفعال ملكوتية لا يشاهدها ولا يراها الا من يشاهد عالم الملكوت ، مثل نبينا ﷺ . فما ذكره ابن التين شيء وما قاله هذا البعض شيء آخر . وبالجملة فما قاله ذلك البعض حياة برزخية وهي للأنبياء فوق حياة الشهداء ، ولشهداء فوق حياة الاولياء غير الشهداء ، وللاولياء غير الشهداء فوق حياة من عدام من الناس أجمعين من أهل البرزخ . ومنها ما قيل : ما الحكمة في انه عليه الصلاة والسلام عين من الأنبياء آدم وإدريس وإبراهيم وموسى وعيسى فيما رواه البخاري في كتاب الصلاة ، وذكر أيضاً يحيى ويوسف وهارون وهم ثمانية ؟ والجواب أن الحكمة في الافتصار على المذكورين اشارة الى ما سبق له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم . فأما آدم عليه السلام فانه خرج من الجنة بعداوة إبليس له وتحببه عليه ، فكذلك نبينا ﷺ خرج من مكة بأذى قومه له ولمن أسلم معه ، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع الى وطنه الذي خرج منه فأدم رجع الى السماء بعد أن هبط منها والمصطفى رجع الى مكة لما فتحها وصارت في يده . وأما لقياء لعيسى ويحيى فلتنبيه على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود ونماديتهم على النبي عليه وآراءهم وصول السوء اليه فرأى

في الثانية عيسى وبجى وهما المنتحان باليهود . أما عيسى فكذبت اليهود وآذوه
وهموا بقتله فرفعه الله ، وأما بجى فقتلوه . ورسول الله ﷺ بعد انتقاله الى
المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود وظاهر واعليه
وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى . ثم سموه في الشاة
فلم نزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره . وأما لقاءه ليوسف في الثالثة
فيؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر بأخوته بعد اخراجه من بين
ظهور انهم فصنح عنهم وقال : « لاتثريب عليكم » الآية وكذا نبينا ﷺ أسر
يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من
أطاق ومنهم من فدى ، ثم ظهر عليهم عام الفتح ، قال : أفول كما قال أخي
يوسف « لاتثريب عليكم » ثم لقاءه لادريس في الرابعة وهو المكان الذي
سماه الله مكاناً علياً ، وهو أول من خط بالقلم ، وكان ذلك مؤذناً بحالة رابعة وهو
علو شأنه ﷺ حتى أخاف الملوك ، وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال
أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي ﷺ ورأى مارأى من
خوف هرقل : لقد أمر امر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الامصر
وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي
وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وانحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من
نعصى عليه فأظفر الله به ، كذا في الروض السيلي . ولا تفهم من قوله بحالة
رابعة ان كتابته ﷺ الى الملوك كانت في السنة الرابعة كما ظن ذلك ابن المنير
فانه سهو عجيب فان كتابته ﷺ للملوك كانت في أول السنة السابعة . ولقاءه
في الخامسة لهرون المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بعضهم
فيه ، وقال ابن دحية : نال هرون من بنى اسرائيل من الاذى ثم الانتصار
عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة

عنه وذلك ان هارون عند ما تركه موسى في بني اسرائيل وذهب للنجاة
تفرقوا على هارون وتمحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد واخلفوا الموعد
واستصغروا جانبه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى الصادرة
منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل في ساعة واحدة
سبعون ألفا كان نظير ذلك في حقه ﷺ ما لقيه في خامسة الهجرة من يهود
قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وحشدوا وحشروا
وأظهروا عداوة النبي ﷺ وأرادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمان يسير
يستعينهم في دية قتيلين فأظهروا اكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن
يلتقوا عليه رحي فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينئذ عزم على
حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكييمهم سعد بن معاذ فقتلوا
شر قتلة وحاق المكر السيء بأهله ونظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم
للمسلمين في غزوة الخندق . ويؤذن لقاءه لموسى في السادسة بمعالجة قومه فان
موسى ابتلى بمعالجة بني اسرائيل والصبر على أذاهم وما عالجهم المصطفى في
السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ففيها افتتح خير وفدك وجميع حصون
اليهود وكتب الله عليهم العلاء وضرهم بسوط البلاء وعالج ﷺ في هذه السنة
كما عالج موسى من قومه أراد أن يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل قومه
على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا «ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها» وفي الآخر جاهدوا بالقنوط وقالوا انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فغضب
الله عليهم وحال بينهم وبينها وأوقعهم بالتيه وكذلك أراد ﷺ في السادسة أن
يدخل بن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها في
هذا العام فكان لقاءه لموسى تنبيها على التأمي به وجهيل اثر السنة القابلة
ثم لقاءه في السابعة لابراهيم انه ﷺ اعتمر عمرة القضاء في السنة السابعة

من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملين معتمرين مُحبباً لسنة إبراهيم ومقيماً لرسمه الذي كانت الجاهلية أمانت ذكره وبدأت أمره ورؤيته لإبراهيم مسنداً ظهره الى البيت المعمور إشارة الى انه يطوف بالكعبة في السابعة وهي أول مرة دخل مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور وفي قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يرجعون اليه الى آخر الدهر إشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الا عام الفتح ثم لم يدخله في حجة الوداع . كذا يؤخذ من المواهب اللدنية وشرحها

واعلم ان ما أبديناه من هذه المناسبات قد أشار اليه المحافظ ابن حجر وأصله للسهلي في الروض واللمعة ابن دحية وقال هي مناسبات لطيفة ، وقد اقتصرنا عليها وأعرضنا عن غيرها خوفاً من التطويل وفيما أوردناه الكفاية ومنها: ما هي الحكمة في انه رفع اليه ﷺ البيت المعمور وسدرة المنتهى قلنا انه منتهى الرفع كما تقدم انه كشف له البيت المعمور وظهر له كل الظهور وكذلك سدرة المنتهى التي رأى في أصلها أربعة اثمار اثنان باطنان واثنان ظاهران والبيت المعمور في السماء حيال الكعبة في الارض وذلك يدل على انه ﷺ بعد فتح مكة تدبّر له جزيرة العرب ويدخل الناس في دين الله أفواجا وتنتشر شريعته المشتملة على الظاهر والباطن فليست ظاهرة فقط كشريعة موسى ولا باطنة فقط كشريعة عيسى بل هي شريعة علم وعمل تشتمل على سياسة الدين دنيا وآخرة ونظام الخلق في المعاش والمعاد وبذلك يتم الغرض المقصود

ومنها: ما الحكمة في أن التكليف من أوامر ونواهي أنزلها الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام الى رسول الله ﷺ في الارض الا الصلاة المكتوبة فان الله عز شأنه فرضها على النبي وأمه فوق السموات وبدون واسطة جبريل ففي بعض روايات البخاري ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما

أوحى خمسين صلاة (الحديث) والجواب بأن الصلاة لما كانت ركن الدين الاعظم وهى الركن الثاني من أركان الاسلام بعد الشهادتين وعمود الاسلام خصت بهذه المزية قال الامام احمد في كتاب الصلاة جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (الصلاة عمود الاسلام) أنت تعلم أن الفسطاط اذا سقط عموده سقط الفسطاط لم ينتفع بالاطناب ولا بالاورناد ، واذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالاطناب والاورناد فكذلك الصلاة من الاسلام الى أن قال رضى الله عنه واعلموا أن الله عز وجل قد عظم حظ الصلاة في القرآن وعظم أمرها وشرف أهلها وخصها بالذكر من بين الطاعات في مواضع من القرآن كثيرة ووصى بها خاصة اهـ . وقال ابن القيم في كتاب الصلاة وأحكامها مانعه : والصلاة ركن الدين الاعظم قال الامام احمد وقد جاء في الحديث لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة وقد كان عمر بن الخطاب يكتب الى الآفاق ان من أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . قال فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالاسلام مستهين به وإنما حظهم في الاسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الاسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للاسلام عندك فان قدر الاسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك فقد جاء في الحديث ان أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وان ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله فصلاتنا آخر ديننا وهى أول ما نسئل عنه غدا من أعمالنا يوم القيامة فليس بعد ذهاب الصلاة اسلام ولا دين اذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الاسلام . هذا كله كلام الامام احمد انتهى ، ومنها : ما قيل ان قوله في الحديث الذي أخرجه البخارى في كتاب الصلاة جاء فيه قوله لم يثبت كيف منازلهم وهذا يخالفه كلمة ثم التى لترتيب والجواب انه اما أن يقال ان أنسا لم يرو هذا عن أبي ذرء واما أن يقال لا يلزم منه تعيين منازلهم

إبقاء الإبهام فيه لان بين آدم وإبراهيم ستة من الانبياء وأربعة من السموات أو خمسة اذ جاء في بعض الروايات انه رأى إبراهيم في السماء السابعة وقد تقدم هذا الاعتراض والجواب عنه بان معنى قوله لم يثبت كيف منازلهم انه لم يثبت من طريق أبي ذر فلا ينافي انه ثبت من طريق آخر

ومنها ما قيل ان قوله تعالى (لا يبدل القول لدي) لم لا يجوز أن يكون معناه لا ينقص عن الخمس ولا يبدل الخمس الى أقل من ذلك والجواب ان معناه لا تبدل الاخبار مثل ان ثواب الخمس خمسون لا التكليفات أو لا يبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذي يحو الله ما يشاء ويثبت، أو معناه لا يبدل القول بعد ذلك ومنها: ما قيل ان الاسراء كان ليلا بالنص فما الحكمة في انه كان ليلا. والجواب من أوجه. الاول انه وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك وهو أشرف من مجالستهم نهارا لانهم لا يجالسهم ليلا الا الخواص وهو وقت مناجاة الالهة الثاني ان الله تعالى كرم جماعة من أنبيائه بأنواع الكرامات ليلا فقال تعالى في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا وفي قصة لوط عليه الصلاة والسلام « فأسر بأهلك بقطع من الليل » وفي قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام « سوف أستغفر لكم ربي » وكان آخر دعائه الى وقت السحر من ليلة الجمعة، وقرب الله موسى عليه الصلاة والسلام نجيا ليلا وذلك كما قال تعالى « اذ قال لاهله امكثوا اني آنست نارا » وقال « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » وقال له لما أمره بخروجه من مصر بنى اسرائيل « فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون » واكرم نبينا عليه الصلاة والسلام ليلا أيضا بامور: منها انشقاق القمر وإيمان الجن به ورأى الصحابة آثار نيرانهم كما ثبت في صحيح مسلم وخرج الى الفار ليلا عند الهجرة الى المدينة . الثالث ان الله قدم ذكر الليل على النهار في غير ما آية فقال « وجعلنا الليل والنهار آيتين » وقال « ولا الليل سابق النهار » والوقوف ليلة النحر يغنى عن الوقوف نهارا

دون العكس . الرابع ان الليل أصل ولذلك كان أول الشهور العربية من الليل وسواد الليل يجمع ضوء البصر وبحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر ويحتلى فيه ضوء القمر . الخامس انه لا ليل الا ومعه نهار وقد يكون نهار بلا ليل وهو يوم القيامة الذي مقداره خمسون الف سنة . السادس ان الليل محل استجابة الدعاء والغفران والعطاء فان قلت ورد في الحديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة ويوم الجمعة قلت قالوا ذلك بالنسبة الى الايام فان ليلة القدر خير من الف شهر وقد دخل في هذه الليلة أربعة آلاف يوم جمعة بالحساب الجملى فأمل هذا الفضل الحفي . السابع ان أكثر شعاعه ﷺ كان ليلا وقال عليكم بالليلة فان الارض تطوى بالليل . والثامن لينفى عنه ما ادعته النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام من البزوة لما رفع نهارا تعالى الله عن ذلك . التاسع ان الليل وقت الاجتهاد في العبادة وكان ﷺ قام حتى تورمت قدماء وكان قيام الليل في حقه واجبا وقال تعالى في حقه يا أيها المزمحل قم الليل الا قليلا الآية فلما كانت عبادته ليلا اكرم بالامراء فيه وأمره الله بقوله « ومن الليل فتهجد به » العاشر ليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا

ومنها ما قيل انه ذكر في الحديث الذي أخرجه البخارى في كتاب الصلاة ان صدره غسل بماء زمزم وفي غيره غسل قلبه بالثلج والجواب ان الغسل كان مرتين مرة بالثلج ومرة بماء زمزم . والمراد من الصدر القلب فغسل بالثلج أولا ليشح اليقين في قلبه وهذا لدخول الحضرة القدسية . وقيل غسل قلبه بالثلج كان في صغره ليصير قلبه مثل قلوب اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الانشراح وغسل ثانيا بماء زمزم ليصير حاله كحال الملائكة

ومنها ما قيل نماهى الحكمة في الاسراء والمعراج والجواب انه انما كان للمناجاة ولهذا كان من غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم ، ركان التكليم مع موسى عن

مواعدة ومواقاة فأبن ذلك من هذا ، وشتان ما بين المقامين وبين من دعى الى
أعلى البيت المعمور وبين من سخرت له الريح مسيرة شهر وبين من ارتقى من
الفرش الى العرش في ساعة زمانية . وأيضا الحكمة فيما ذكر أن يشاهد عالم السموات
العلی وما فوق ذلك كما شاهد الارض حين طيف به فتم سياحته في العالمين العلوی
والسفلی والله أعلم

ومنها ما قيل : انه عليه الصلاة والسلام عرج به على دابة يقال لها البراق كما
جاء في بعض الروايات فما الحكمة في ذلك مع ان الله قادر على رفعه في طرفة عين
بلا براق ؟ والجواب ان ذلك كان لتأنيس كالمعتاد في سفر العباد ، والقلب الى ذلك
أميل ، وعرج به لسكرامة الراكب على غيره ولذلك لم ينزل عنه على ما جاء في
حديث حذيفة بل مازال على ظهر البراق حتى رجع . وأما لم يذكر في الرجوع
للعلم به من قرينة الصمود . وسمى براقا لسرعة تشبيها بهرق السحاب لا محص
ومنها ما قيل : لم كان البراق على شكل البغل دون الخيل مع ان الخيل أفضل
وأحسن الجواب كان الركوب في السلم والأمن لا في الخوف والحرب ولا سراع
عادة وتحقيق ثباته وصبره وقوته فلذلك كان عليه الصلاة والسلام يركب في الحرب
كما في قصة حين لتحقيق ثباته في مواطن الحرب وأما ركوب الملائكة الخيل
فلانه المعبود في الحروب ، وما لطف من البغل واستدار واعتاد السكر والغر
أحسن من الخيل في الوجوه التي ذكرناها

ومنها ما قيل كيف يتصور الصمود الى السموات وما فوقها والجسم الانساني
كثيف ؟ والجواب ان الارواح أربعة أنسام : الاول الارواح الكدرة بالصفات
البشرية وهي ارواح العوام غابت عليها القوى الحيوانية فلا تقبل المروج أصلا
مم أجسادها والثاني الارواح التي لها كمال القوة النظرية للبدن باكتساب العلوم
وهذه ارواح العلماء ، والثالث الارواح التي لها القوى المدبرة للبدن باكتساب

الاخلاق الحسنة وهذه ارواح المرناضين اذ كسروا قوى ابدانهم بالارتياض والمجاهدة ، والرابع الارواح التي حصل لها كمال القوتين فهذه غاية الارواح البشرية وهي ارواح الانبياء والصدّيقين فكلما ازدادت قوة ارواحهم ازداد ارتفاع ابدانهم من الارض وغلبت ملكيتهم على بشريتهم وصارت ابدانهم تابعة لارواحهم . ولهذا لما قويت ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين على وجه ما ذكر عرج بهم الى السماء ولم تكن ابدانهم مانعة من ذلك ، واكملهم قوة في ذلك نبينا ﷺ فعرج به الى قاب قوسين أو أدنى

وهذا آخر ما يسر الله كتابته في قصة المعراج اخذاً من صحيح البخاري وشراحه وغيرها من الكتب الصحيحة . جملة الله مقبولا لديه نافعا للمسلمين خصوصاً طلبة العلم المحصلين على يد كاتبه محمد بن حنيفة المطيعي الحنفي فخر الله له ولوالديه واسائر المسلمين آمين

(استدراك) على ما قاله ابن اسحق وناقم بن جبير المذكور في ص ٤٨ بعد قوله جمعا بين الرايات : لم يمكن مقتضى الجمع بين ما قاله ابن اسحق وبين ما قاله نافع بن حبير بأن ما صلاه جبريل مع النبي أولا وصلاه النبي مع خديجة ثانياً كان حين زالت الشمس الخ يتأني ما قدمناه من أن خديجة لم تصل الخمس وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين فان هذا يدل على انها ماتت قبل المعراج فلا يمكن أن تكون التي صلاها جبريل مع النبي أولا وصلاها النبي مع خديجة ثانياً حين زالت الشمس من يوم ليلة الامراء فتبين ان ما قاله ابن اسحق ضعيف أو محمول على صلاة أخرى كانت قبل ليلة الامراء وقبل وفاة خديجة

في ص ٦ سطر ١٨ الثانية السنة . صوابه والسنة الثانية .

في ص ٣٥ سطر ٨ على

في ص ٥١ سطر ٣٠ بعضهم صوابه بعضهم
في ص ٥٥ سطر ٨ ما يشاء ويثبت صوابه ما يشاء منه ويثبت
في ص ٥٥ سطر ١٥ آخر دعائه صوابه آخر دعائه
في ص ٥٧ سطر ١ المقامين وبين صوابه المقامين وبين من كلم على الطور وبين